الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر الموسومة بـ

الصراع الجزائري الإسباني خلال القرنين (15-17م)

إعداد الطالبتين:

❖ ساردو فضيلة

❖ دبداب أمال

الأستاذ المشرف:

خنفار حبيب

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ: دوبالي خديجة	رئيسا
الأستاذ: خنفار حبيب	مشرفا
الأستاذ: بوعناني العربي	مناقشا

السنة الجامعية:

1435– 1436هـ / 2014– 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

الحمد لله القوي الذي أمدنا بالعون والطاعة لإنجاز هذا العمل المتواضع لك الحمد ولك الشكر يا ذا الجلال و الإكرام.

نتوجه بالشكر الجزيل إلى أعضاء اللجنة الذين سيتولون مناقشة هذه المذكرة على تحملهم عبء قراءتها.

كما نخص بالذكر الأستاذ المشرف

.... "**خنفار حبيب**"...

الذي شرفنا بتأطيره وأمد لنا يد العون و على كل ما قدمه لنا من نصح صادق، وما أنفقه معنا من وقت ثمين، وكان لنا خير سفير لإخراج هذا العمل إلى النور

كما لا ننسى أن نتقدم بإخلاص العرفان إلى عميد كلية العلوم الإنسانية

..."تاج محمد"...

وإلى كل أساتذة قسم التاريخ وإلى كافة وعمال المكتبة

كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد وإلى كل من منحنا في لحظة من اللحظات اليائسة نبضة التحدي والصبر.

إهداء

إلى سيد خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم

أهدي ثمرة عملي هذا إلى:

أعز وأغلى ما أملك في الوجود:"أبي" و"أمي"

اللذان لم يبخلا عليّ بعطائهما المستمر، أطال الله في عمرهما.

إلى أختي ، صورية ولمياء نور الهدى.

وإلى إخوتي عبد الكريم ،زين العابدين، عبدو، نونو، فؤاد

إلى جميع الأهل والأقارب دون إستثناء

إلى البراعم : محمد عبد المعين،أحمد خليل ، محمد الحبيب.

إلى كل أصدقاء و الصديقات الدراسة والدرب "محمد ، امحمد، مصطفى، حمزة ،عبد القادر،أمال، أسماء، نعيمة ، صفية، فطيمة ، كريمة، مليكة، إيمان، جوهر، تيتا، سهام، عفاف .

إلى الأستاذ المشرف الدكتور خنفار حبيب.

إلى أساتذتي اللذين أحسنوا تعليمي وتربيتي منذ نعومة أظافري ومنحوني عصارة جهدهم وخلاصة تجربتهم في الحياة.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

فضيلة

إهداء

إلى سيد خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم

أهدي ثمرة عملي هذا إلى:

أعز وأغلى ما أملك في الوجود: "أبي" و"أمي"

اللذان لم يبخلا عليّ بعطائهما المستمر، أطال الله في عمرهما.

إلى أخوتي: بختي ، مختارية

إلى جميع الأهل والأقارب دون إستثناء

إلى البراعم : يوسف ،شراز، أمونة، لمياء

كل أصدقاء و الصديقات الدراسة والدرب "محمد ، امحمد، مصطفى، حمزة ،عبد القادر، فضيلة،صورية، نصيرة، سهيلة، نعيمة ، صفية، فطيمة ، كريمة، مليكة، ،جوهر ، تيتا، سهام، عفاف"

إلى الأستاذ المشرف الدكتور "**خنفار حبيب**"

إلى أساتذتي اللذين أحسنوا تعليمي وتربيتي منذ نعومة أظافري ومنحوني عصارة جهدهم وخلاصة تجربتهم في الحياة

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

أمـــل

قائمة المختصرات

- **تح:** تحقيق
- **تر:** ترجمة
- **تع:** تعريب
- **ج:** جزء
- **ط:** طبعة
- **د ت:** دون تاريخ
- **ص:** صفحة
- **مج:** مجلد
- **مر:** مراجعة
- **م.ت.أ.ش.د:** منشورات التعليم الأصلي والشؤون الدينية
- **م.ت.م:** المجلة التاريخية المغاربية
- **م.و.ش.د:** منشورات وزارة الشؤون الدينية
- **د.م.ج:** ديوان المطبوعات الجامعية
- **م.م:** منشورات مؤسسات
- R.A : revue d'Africaine

مقدمة

بعد أن تمكن الإسبان من استرداد شبه الجزيرة الإيبيرية انطلقوا في التوسع، إذ استطاعوا السيطرة على جزر الكناري كخطوة أولى للتوسع، وأصبحت نقطة ارتكاز العمل العسكري الذي أبداه الإسبان على السواحل كمحطات للبحرية الإسبانية تحقيقا لفكرة الغزو الصليبي، وكانت الجزائر من بين الدول التي تعرضت سواحلها لسلسلة من الغارات الإسبانية، ولقد خلف الاحتلال الإسباني لهذه المواقع أثرا في مختلف جوانب الحياة نعتقد أنها جديرة بالبحث، ولذا اتخذنا هذا الموضوع للدراسة.

ينحصر الإطار الزماني لهذه الدراسة في أواخر القرن التاسع هجري/ أواخر القرن الخامس عشر ميلادي إلى غاية العقد الأول من القرن الثاني عشر هجري/ الثامن عشر ميلادي سنة 897هـ/ 1492م تمثل تاريخ سقوط غرناطة وبداية التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية، وسنة 1708م تمثل التحرير الأول لمدينة وهران، أما الإطار المكاني يتمثل في البحر الأبيض متوسط منحصرا في ضفتين المغرب الأوسط في جنوبه وإسبانيا في الضفة الشمالية منه.

ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع بديهي بل هناك جملة من الوقائع والمعطيات المشجعة دفعتنا إلى اختياره،المتمثلة في البحث في تاريخ الجزائر خلال القرنين 17/15م، وهي فترة حساسة عرفت فيها الجزائر صراعات داخلية بحيث كانت تعاني من حالة الضعف والانقسام الذي نتج عنه تعفن الوضع السياسي،وقد وصفه المؤرخين بالفسيفساء السياسية، وهذا ما شجع إسبانيا لاحتلال بعض المواقع الساحلية، وأمام هذه الحالة أردنا التعرف على دور الإخوة بربروس ومدى مساهمتهم في الدفاع عن جزائر.

أما الدواعي الموضوعية في اختيارنا لهذا الموضوع هو التعرف على الفترة التي تعرضت فيها الجزائر لهذا الغزو، بحيث كان العالم الإسلامي يشهد تقهقرا، في حين نجد العالم المسيحي يعيش بداية ظهور بوادر النهضة (العلمية،الاقتصادية والسياسية)، ومن هنا بدأت إسبانيا في سياستها التوسعية، التي تتعلق بانتهاج سياسة استعماريةمعتبرة أن هذا العمل يدخل في إطار الحروب الصليبية، وكذا فهم

دواعي تركيز الاحتلال الإسباني على المدن الساحلية وعدم تمكنه من التوغل إلى المناطق الداخلية والسعي إلى الاستقرار فيها، والوقوف على جملة الآثار التي ترتبت عن العدوان الإسباني على السواحل الجزائرية .

ولقد عالجنا هذا الموضوع انطلاقا من الإشكاليات التالية:

ما تداعيات الصراع الجزائري الإسباني وفيما تمثل؟

إلى أي مدى ساهمت الدولة العثمانية في دعم الجزائر ؟

وما هي أسباب فشل المشروع الإسباني في الجزائر؟

وما انعكاساته؟ وما موقف قبائل المنطقة من الاحتلال؟

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

عالجنا في الفصل الأول الغزو الإسباني لسواحل الجزائر،من خلال الأسباب الدينية،الاستراتيجية والعسكرية، والاقتصادية التي جعلت الإسبان يقدمون على شن هجمات على السواحل الجزائرية في بداية القرن السادس عشر، والمواقع التي احتلها الإسبان في المناطق الغربية والوسطى والشرقية، ثم الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تمر بها الجزائر في مطلع القرن السادس عشر.

وتطرقنا في الفصل الثانيلظهور الإخوة بربروس ودورهم في الجزائر، تعرضنا فيه إلى فترة الحكم عروج من 1512- 1518م، وتحدثنا عن بوادر ميلاد الإيالة الجزائرية، وجهود عروج في مواجهة الإسبان، والصراع الإسباني الجزائري على تلمسان ومقتل عروج 1518،ثم درسنا مجريات ووقائع الحملات الإسبانية على الجزائر من 1519- 1541م وهي ثلاث حملات حملة هقودومنكاد، أندري دوريا، شارلكان،وجهود حكام إيالة الجزائر في مواجهة الإسبان 1529- 1558م، من خلال تحريرهملقلعة البنيون واسترجاع تلمسان، وتحرير بجاية وفشل الإسبان في مستغانم.

وأدرجنا في الفصل الثالث نتائج الصراع الجزائري الإسباني من خلال أسباب التي أدت إلى فشل المشروع الإسباني في الجزائر، وتناولنا فيه عنصرين أساسيين هما العوامل الداخلية والخارجية،والظروف السياسية في بداية القرن 18م ثم مواقف القبائل من الاحتلال الإسباني لوهران، وتعرضنا فيالأخير إلى التحرير الأول لمدينة وهران.

اعتمدنا على المنهج التاريخي في دور الإخوة بربروس في الجزائر، أما الدوافع التي أدت إلى الغزو والنتائج المترتبة عن الصراع الجزائري الإسباني استخدمنا فيهم المنهج التحليلي الاستنتاجي، محاولين التحري بالأسلوب اللغوي والأمانة العلمية والمنهجية التاريخية.

من خلال معالجتنا لهذا البحثاستعنّابمجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة والكثير من المقالات المتخصصة.

من المصادر المعتمدة كتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر ال+محمية" لمؤلفه محمد بن ميمون الجزائري الذي يعتبر عمدة في تاريخ حدث فتح وهران،وقد دون أخبارا عن وهران في 1707-1708م، وقام الأستاذ محمد بن عبد الكريم بتحقيقه.

-"وصف إفريقيا" لحسن بن محمد الوزان الزياني(ليون الإفريقي)، الذي قام بترجمته محمد حجي، وهذا الكتاب يسلط الضوء على فترات مهمة من تاريخ المغرب الأوسط خلال القرن العاشر هجري(16م) وتكمن أهميته في مشاهدة الحسن الوزان لمعظم ما ورد في كتابه

-"بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر" لعبد القادر المشرفي، مصدر أساسي لأن صاحبه انشغل بالعلاقات العامة التي جمعت الإسبان والكثير من القبائل في بايلك الغرب حتى تحولت إلى خادمة لهم وراح يفضح أعمال هذه القبائل، بعد أن فصّل أصولها العربية كبني عامر والأمازيغية كرشتل وغمرة وبيّن موقف الشرع من أعملها، ويحذر الناس أن يحذوا حذوهم.

-"عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لأبو راس الناصري والذي اعتمدنا فيه عن الأخبار الهامة التي تتعلق بحصار و تحرير وهران والعلماء المشاركين فيها والقبائل المتعاونة مع الإسبان.

أما المراجع فكان كتاب "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م"، للأستاذ المرحوم أحمد التوفيق المدني، وهو يغطي كل الفترة المدروسة، وفي تقديرنا فهو كتاب يستحق التنويه به لأنه تناول التاريخ الصراع الجزائري الإسباني من وجهة نظر الجزائرية، غير أن افتقار هذا المرجع للتهميش حالى دون الاستفادة المثلى منه.

-عبد القادر فكاير" الغزو الإسباني لسواحل الجزائر وأثاره910-1206هـ/1505-1592م" استفدنا منه كثيرا باعتباره مرجعا أساسيا يتناول الفترة الزمنية لموضوع البحث.

ولقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات يمكننا إيجازها فيما يلي:

- نقص الخبرة والتجربة في ميدان البحث العلمي وخاصة أثناء جمع المادة مما كان لنا له أثر كبير في ضياع وتبديد وقت ثمين.

- صعوبة الحصول على المادة العلمية من مكتبة الجامعة وإن وجدت تعذر الحصول عليها(قلة عدد النسخ).

- صعوبة التعامل مع المراجع باللغة الأجنبية.

- إضافة إلى مشكلة تحرير المذكرة وطباعتها نظرا لتزاحم عدد الطلبة.

وأخيرا أنهينا بحثنا بخاتمة أبرزنا فيها بعض النتائج التي توصلنا إليها، بالإضافة إلى بعض الملاحق المكملة للموضوع، ووضعنا ثبتا للمصادر والمراجع العربية والأجنبية مرتبة حسب الحروف الهجائية، وفي الأخير فهرسة للموضوعات.

مدخل

الوضع السياسي لإسبانيا خلال القرن 15م:

كانت الخريطة السياسية لشبه الجزيرة الإيبيرية[1]، في القرن التاسع الهجري/ القرن الخامس عشر ميلادي، تتكون من عدة كيانات سياسية تمثلت في مملكة قشتالة (Castile)، ومملكة الأراغون (Aragon)، ومملكة النفار (Nivar) ومملكة البرتغال (Portugal)، ومملكة غرناطة (Granada) في الجنوب ووجدت بين هذه المماليك صراعات ومناوشات، وكان القصد منها التوسع ،والهيمنة خارج حدودها ولهذا الصراع ما يفسره، وكانت قشتالة بحكم موقعها الجغرافي تتجه نحو الأطلسي وكانت مسيرة من طرف نبلاء عسكريون، أما مملكة الأراغون فقد كانت تتحكم في جزر الباليار (Balears) وصقلية (Sicilia) وسردينية (Sardeg)، وتتجه نحو المتوسط والمكونة من دبلوماسيين وسياسيين[2].

أما بالنسبة لمملكة البرتغال فقد بدأ نشاطها الاستعماري في أوائل القرن العاشر هجري /15م، بحيث سيطرت على السواحل الغربية لإفريقيا، وقامت بغارات تستهدف وهران التي تقع في شمال إفريقيا واحتلتها مرتين[3]:

- الأولى في :14 أوت 1415-1437م بقيادة الملك البرتغالي جان الأول.
- الثانية في: عام 1471-1477م هاجمها الملك البرتغالي الفوسو العاشر.

بينما كانت إسبانيا في هذا الوقت ما تزال مقسمة إلى مالك لم تحدد بعد، ولكن لم تلبث أن أصبحت إسبانيا دولة عظمى بعد انضمام دولة ارجونة، ودولة قشتالة في عام

1 - «سميت بشبه الجزيرة الإيبيرية (Iberian Peninsula) نسبتا إلى جدهم الإبر المجهول الأصل، وسميت بالأندلس عندما كانت حاضرة المسلمين خلال ثمانية قرون، ثم عرفت بعد ذلك بإسبانيا». عن **محمد بن يوسف الزياني** ، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح الشيخ المهدي بوعبدلي، ش.و.ن.و.ت،الجزائر، د.ت ، ص.ص،137-138.

2- **عبد القادر الميلق**، تأثير ثورات الموركسيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الإسبانية 1492- 1609م، مذكرة ماجستير جامعة غرداية، الجزائر، 2012- 2013، ص16.

3- **يحي بوعزيز**، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 34.

1469م[1] بزواج الملكين الكاثوليكيين فرديناند صاحب ارجونة وإيزابيلا صاحبة قشتالة وتكوّنت سنة 1474م[2] إسبانيا سياسة موحدة، وهي سياسة يمكن الإطلاق عليها زواج المصلحة[3].

كان فرديناند يجنح (يعتمد) في سياسته على الغدر والابتعاد عن الوفاء، أما زوجته إيزابيلا فكانت ذات نزعة دينية متعصبة، تشتعل بغضا للمسلمين، وترتكب أبشع الجرائم باسم المسيحية والدين المسيحي[4].

أوضاع غرناطة:

في هذه الفترة كانت غرناطة[5] غارقة في سلسلة من الحروب الأهلية بين الإخوة، أبو الحسن والد السلطان محمد بن سعد بن إسماعيل الملقب بالغالب بالله[6] ،وأبو الحجاج يوسف أبوعبد الله محمد الزعل[7].

حاول أبو الحسن سنة 883هـ/ 1478م تجديد هدنة مع مملكة قشتالة وأرغون المتحدتين، ولكن الملكين الجديدين رفضا ذلك، إلا بعد دفع جزية سنوية، فرض أبو الحسن

1- **شوقي عطا الله الجمل**، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ج1، مكتبة إنجلو المصرية للنشر والتوزيع القاهرة، 1971، ص50.

2- **جلال يحي**، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ج4، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ت، ص244.

3- **عبد العزيز سليمان نوار، محمود جمال الدين**، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي للنشر، القاهر1999 ص40.

4- **عبد الحميد الذنون**، آفاق غرناطة، دار المعرفة، دمشق، ط1، 1988، ص 45.

5 - «هي البقية الباقية من دولة العرب في إسبانيا بعد أن تمزقت دولتهم ،وسقطت منهم في أيدي المسيحيين لهذا كانت غرناطة هي الملجأ الطبيعي لمعظم المهاجرين الأندلسيين ، الذين فروا وطردوا من بلدهم بعد سقوطها في يد الإسبان» .عن **عبد العزيز السيد وأحمد مختار العبادي**، تاريخ البحرية في المغرب والأندلس، دار النهضة ، لبنان، 1969، ص 302.

6- **علي المنتصر الكتاني**، أبحاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005، ص 50.

7- «عم سلطان غرناطة، هاجر إلى وهران بعد سقوط غرناطة ثم استقر بتلمسان ودفن بها، إلى الآن يعرفون ببني سلطان الأندلس، وقد عثر على شاهد قبره بتلمسان كتب عليه قبر السلطان قد مات في حال انجلائه بتلمسان غريبا مهملا بين نسائه، بعد أن جاهد في الله جهد اعتنائه، حكم الدهر عليه قهرا حكم قضائه، أتاه الله صبرا بعد إنزال بلائه، فسقى الله قبره دائما غيث سمائه». عن **أحمد بن سحنون الراشدي**، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح المهدي بوعبدلي، و.ت.أ.ش.د، الجزائر، 1973، ص 13.

طلبهما[1]، فأغار القشتاليون غرناطة، واستولوا على حصن بللنقة قرب رندة، فرد أبو الحسن على هذا التعدي بالزحف على بلدة الصخرة واستردها سنة 1481م، وهكذا اشتعلت الحرب من جديد بين قشتالة (المتحدة هذه المرة مع اراغون) وغرناطة (المتجزئة إلى نصفين)،ولولا سوء سيرة أبو الحسن لتابعت غرناطة مقاومتها، بحيث أصيب بالغرور للانتصار السريع الذي حققه وخلد إلى الركون، وكان غروره مؤشرا على السقوط[2].

وفي هذا الصدد يقول المقري صاحب نفح الطيب «كان صاحب غرناطة السلطان أبو الحسن قد استرسل في الملذات والركن إلى الراحات، وأسند الأمر إلى بعض وزرائه واحتجب عن الناس ورفض الجهاد، والنظر في الملك ليقضي الله تعالى ما شاء ونشرت المظالم والمغارم»[3].

إن الحديث عن أبي الحسن لا يمكن دون الحديث عن دور المرأة الأجنبية، التي ساهمت في سقوط الدول، فقد تزوج أبو الحسن في سن متقدم من فتاة اسبانيا نصرانية أسلمت ظاهرا، اسمها إيزابيلا وقد سميت فيما بعد ثريا[4]، وأنجبت ولدين هما سعد ونصر ،وكان للسلطان ولدان محمد ويوسف من ابنة عمه السيدة عائشة الحرة[5]، وبفعله هذا فتح الباب على مصراعيه لصراع السيدات، لأن كل واحدة من نسائه، تريد أن تظفر بالسلطة لولدهن[6].

استطاعت السيدة ثريا أن تسيطر على السلطان و أصبحت سيدة القصر ،ففضل السلطان أبو الحسن هذه الأخيرة وولديها ،و أقصى ابنة عمه ووالديها واعتقلهم في برج قماش

1- عبد الحميد ذنون، المرجع السابق، ص 46.

2- المرجع نفسه ، ص 46.

3- **أحمد المقري**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب في أخبار وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح إحسان حقي، ج04، دار صادر، بيروت، 1968، ص 512.

4- «اسمها الأصلي هو إيزابيلا دي صولي، كانت جارية لدى السلطان أبي الحسن عرفت بالذكاء والدهاء الأمر الذي أدى بها إلى التدخل في شؤون دولة غرناطة، ويذهب بعض المؤرخين إلى اعتبارها جسوسة لصالح أهلها الإسبان». عن **عبد الحميد ذنون**، المرجع السابق، ص 46.

5- «زوجة السلطان أبي الحسن وابنة عمه، لها مكانة بارزة في أحداث سقوط غرناطة وهذا نظرا للمواقف البطولية التي وقفتها، وهي تستحق التقدير والاعتزاز». المرجع نفسه، ص 46.

6 - **جمال يحياوي**، سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين 1610/1492م، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005، ص 31.

بقصر الحمراء،[1] لكن السيدة الحرة لم تستسلم للمكيدة وتمكنت من الفرار من السجن والاستقرار بوادي أش ضواحي غرناطة، أين بايع الكثير ابنها محمد أبي عبد الله الصغير، وهكذا انقسم عرش غرناطة بين الوالد أبي الحسن، وابنه محمد أبي عبد الله الصغير الذي وقع أسيرا لدى الإسبان[2].

بعد موقعة اللسانة 1482م، مما جعل العامة يضطرون إلى مبايعة الوالد من جديد وحاولت عائشة الحرة، الإمساك بزمام الأمور في غرناطة، فقد دعت زوجها المخلوع أبا الحسن علي ليتسلم الحكم لكن هذا الأخير تنازل عنه لأخيه زغل سنة 890هـ/1485م ،وتحركت عائشة الحرة مجددا لتفتدي ابنها من الأسر، بمبلغ كبير من المال ليقود الثورة ضد عمه زغل ونجح ابن الحرة في تولي حكم غرناطة للمرة الثانية سنة 892هـ/1487م، بينما توجه عمه زغل إلى مالقة[3].

انتهز ملك قشتالة الصراع داخل غرناطة، فأخضع حصن بلش، وهو أقوى حصونها ثم حاصر مالقة برا وبحرا في جمادى الثانية 892هـ/1487م، لتسقط بعد ثلاث أشهر، رغم الدفاع المستميت الذي أبداه أميرها الزغل، الذي اضطر للتنازل عن جميع الحصون التابعة له مقابل خروجه من الأندلس، وبقيت مدينة غرناطة وحدها تقاوم السقوط[4].

وفي سنة 1489م استولى فرديناند على ثغر المنكب (بين المرية ومالقة)، وبعد أسابيع حاصر المرية وسلمت للنصارى في فبراير 1490م[5]، ثم أقام حصار على غرناطة ،وسار بجيش قوامه بين 50 و80 ألف من فرسان ومشاة، وحاصرها حصارا صارما، عازما على فتحها

1- **علي منتصر الكتاني**، المرجع السابق، ص 51.

2- **جمال يحياوي**، المرجع السابق ، ص 32.

3- **عصام محمد بشارو**، الأندلس الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2002، ص 289.

4- المرجع نفسه، ص 289.

5-**جمال يحياوي** ، المرجع السابق ،ص 37.

واستسلامها وكان ذلك سنة 1491م[1]، وأمام وطأة الحصار هذه اتخذ محمد ابن الحرة والقادة قرار بتسليم المدينة، وهذا بعد مفاوضات دارت بين الطرفين[2]، وانتهت بتوقيع معاهدة استسلام وقد شملت شروط صلح تتضمن 67شرطا[3]:

أن يكون التأمين لجميع الناس، أن يقيم المسلمون شعائرهم الدينية بشكل مفتوح دون تدخل من الدولة المسيحية[4]، السماح بالهجرة لمن أراد الخروج إلى الديار الإسلامية، وكان من جملة هذه الشروط أن يصادق البابا عليها ،وأن يترقب المسلمون سبعين يوما عسى أن تأتيهم النجدة أو المدد من الخارج[5].

وفي 02 جانفي 1492م، فتحت أبواب غرناطة ودخلها حاكمها الجديد لكونت تنديلا، وسار خلفه موكب الملكة إيزابيلا والملك فرديناند، في حين غادر أبو عبد الله محمد ابن الحرة ليقيم في البشرات المطلة على غرناطة، وما أن وصلها حتى شاهد قصر الحمراء قد ارتفعت فوقه الصلبان والأعلام الجديدة، فبكى ملكه المفقود[6]، نظرت إليه عائشة الحرة وخاطبته قائلة: "ابك مثل النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال"[7].

وبسقوط غرناطة سقطت الأندلس نهائيا ،ليخسر العرب أهم موقع استراتيجي وحضاري، والذي كان يمثل البوابة العربية للقارة الأوربية[8].

---

1 - **عبد الحميد الذنون**، المرجع السابق، ص 50

2 - **عصام بشارو** ، المرجع السابق ،ص 291

3- **محمد بن يوسف الزياني**، المصدر السابق، ص 139.

4 - **ماريا روز مينوكال** ،الأندلس العربية ،"إسلام الحضارة وثقافة التسامح"، تر عبد المجيد جحفة ومصطفى جباري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2006، ص 190.

5- **محمد لعروسي المطوي**، الحروب الصليبية في الشرق والغرب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1989، ص250.

6- **عصام بشارو**، المرجع السابق، ص 291.

7- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2007، ص 39.

8 -**عصام بشارو** ، المرجع السابق ، ص 291.

وبعد أن أخذ الإسبان المدينة بدأوا في نقض عهودهم وحل مواثيقهم بندا بندا، وجدّدوا حملة صليبية شنيعة ضد المسلمين[1]، بحيث نالوا الكثير من التعسف والاضطهاد والتنكيل وقامت كل من الملكة إيزابيلا والملك فرديناند بفتح أبواب محاكم التفتيش[2]، وإرغام الناس على المسيحية أو القتل، مما أدى بالكثير منهم إلى الهجرة إلى مدن إفريقيا الشمالية[3]، أما من بقي وجب عليه أن يكون على دين النصرانية[4].

فقد أطلق على هؤلاء المسلمين اسم الموركسيين[5] ،وفي عهد الإمبراطور "شار لكان" صدر قانون بإكراه المورسكيين على ترك ألبستهم الخاصة واتخاذ الزي الإسباني، كما منعوا من الاغتسال ودخول الحمامات[6]، ومنعوا من التكلم بالعربية، وترك أسمائهم العربية الإسلامية واستبدالها بأسماء المسيحية[7] ونتيجة لهذه القرارات التعسفية انجحفة اندلعت ثورة بجبال البشرات تحت قيادة "محمد بن أمية"[8]لكن أعان الاسبان على تدبير مؤامرة ضده فاغتيل من بعض إتباعه، فتولى بعده "عبد الله بن أبوه "،إلى أن اتجاه اسبانيا الكلي لهذه الثورات، وعدم وصول أي مدد إلى الموركسيين ،جعل الإسبان يتغلبون عليهم مستعملين معهم كل وسيلة للتعذيب

1- **عبد الرحمن الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، ج3، شركة دار السلامة، ، 2010، ص 53.

2- «تأسست المحاكم في اسبانيا من القرن 13م وأقام الملكان الكاثوليكيان محاكم التفتيش أولا في اشبيلية في 1480، وفي جميع المدن الأندلسية التي سيطروا عليها، وكانت هذه المحاكم سبلا فتاكا في يد الكنيسة تسحق به من لا يخضع لأوامرها». عن **خليل إبراهيم**، تاريخ المدن وحضارته، دار الغرب الإسلامي، ليبيا، ط1، 2004، ص 306.

3- **عبد القادر نور الدين**، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة الجزائر، 2006، ص 61.

4- **مؤلف مجهول**، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزول الأندلس إلى المغرب، تع فريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2006، ص 46.

5- «هو مصطلح خاص بالمسلمين بعد 1492م، وهي كلمة اسبانية تطلق على المسلمين الذين بقو في البلاد وبعد أن استولى عليها المالكان الكاثوليكيان»، **جمال يحياوي**، المرجع السابق، ص 47.

6- **محمد لعروسي**، المرجع سابق، ص 251.

7- **مغيل أنخيل بونيس يبارا**، المورسكيون في الفكر التاريخي، تر وسام محمد جزر، القاهرة، ط1، ص22.

8- **عبد الله حمادي**، المرسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، 1492-1616، دار اللمعية، د.ب، ط01، 2011، ص 131.

والإرهاق والتنكيل، فقضوا على الثورة بعد طول كفاح وكانت تلك آخر محاولات المورسكيين للتخلص من النير الإسباني[1].

وعندما اعتلى عرش اسبانيا فليب الثالث جرت في عهده المأساة الأخيرة لبقايا المسلمين (المورسكيين) في الأندلس، فقد كانت الاضطهادات المتواصلة تجبر المتنصّرين على الثورات وتتبعها، وكانت الكنيسة دائمة التحريض على الفتك بهم وعدم الاغترار بادعائهم النصرانية[2] ومازال أسقفا بلنسية وطليطلة يثيران غضب فليب الثالث ضدهم حتى استجاب لذلك ،وعقد مجلس ديني كبير بإشارة البابا، ثم تعددت المجالس حتى صدر أمر النفي والجلاء في 22 سبتمبر 1017هـ/1609م، وحشدت لهم السفن من مختلف الجهات فذهب البعض إلى فرنسا وايطاليا، وذهب البعض الآخر إلى مصر والآستانة، ولكن الأغلبية الساحقة منهم نقلوا إلى المغرب العربي[3].

معاهدة طوردزلاس:

بعد أن حققت الملكية الاسبانية هدفها في 1492م وسقوط غرناطة آخر معقل من معاقل الأندلس في يد الإسبان، سجل هذا العام كذلك وصول كريستوف كولومبس[4] الذي كان يعمل لحساب فرديناند وإيزابيلا إلى إحدى الجزر وأطلق عليها اسم سان سلفادور (San

1- **محمد لعروسي**، المرجع سابق،ص252.

2- المرجع نفسه، ص 253.

3- **مغيل أنخيل بونيس يبارا**، المرجع السابق، ص ص 24 ، 25.

4 - «1451-1506 م، مكتشف أمريكا، ولد في جنوة بايطاليا، وانتقل إلى بشونة، حيث تزوج ابنة الملاح البرتغالي، أخفق كولمبوس في الحصول على موافقة ملك البرتغال جون الثاني، ومساعدته للإبحار إلى الهند عن طريق الملاحة في المحيط الاطلنطي غربا، فتوجه إلى اسبانيا فقضى فيها ثمان سنوات وطلب من البلاط الاسباني تقديم العون، وعندما أجيب طلبه رحل من ثغر بالوس بإسبانيا، على متن ثلاث سفن، وبعد عودته استقبل في اسبانيا استقبل استقبالا حاسما، بعد وصوله (اكتشافه) إلى عدة مناطق من أمريكا كفنزويلا والهندوراس، جامايكا». عن **عيسى حسن**، أعظم الشخصيات التاريخية، دينية، أدبية، سياسية، علمية فلسفية، مر عبد الله المغيلي، الأهلية، بيروت، ط1، 2010 ، ص 390.

Salvador)[1]،وهكذا سارت إسبانيا في أثر البرتغال في عملية الكشوف الجغرافية وطالبت من نصيبها من العالم الجديد.[2]

وهنا تتدخل الملكة إيزابيلا في الصلح بين قومها والبرتغال فتطلب من البابا الكسندر السادس (Alexander six) [3]، التدخل في الصلح ليتقاسم فيه الإسبان والبرتغال مناطق النفوذ بينهما[4]، فعقد الاجتماع المشهور باجتماع طوردزلاس (Tordesillas)سنة 1492م ونص على أن يتولى الإسبان مهمة حرب الاسترداد وهو ما أطلق في ذلك الوقت على هذه الحرب الصليبية ضد المسلمين في شمال إفريقيا وفي المناطق الواقعة شرق حجر باديس، بينما يكون نصيب البرتغال المناطق الواقعة غرب هذه المنطقة.[5]

وكانت بداية السيطرة الإسبانية على بلاد شمال إفريقيا من مدينة مليليه التي احتلتها سنة 1497م، ثم واصلت مشروعها الاستعماري إلى أن وصلت إلى احتلال المرسى الكبير في سنة 1505م[6].

1- **شوقي عطا الله الجمل**، المرجع السابق، ص77.

2- **هربرت فيشر**، أصول التاريخ الأوربي الحديث من نهضة أوربية إلى ثورة الفرنسية، دار المعارف، القاهرة،ط03 ،2001، ص 77.

3- «تولى منصب البابوية (1492-1503م)، فرض ضريبة الصليب على المسحيين، وذلك لتجديد الحملات الصليبية ضد المسلمين، وقد اشتهر بتقسيمه لمناطق النفوذ في العالم بين إسبانيا و البرتغال». عن **صالح حيمر**، التحالف الأوروبي 1541 وتأثيراته الاقليمية والدولية، رسالة ماجيستر، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر، 2006- 2007، ص 19.

4 - **أحمد بن سحنون الراشدي**، المصدر السابق، ص11.

5- **شوقي عطا الله الجمل**، المرجع السابق، ص78.

6 - **هربرت فيشر**، مرجع سابق، 78.

الفصل الأول: الغزو الإسباني لسواحل الجزائر

- المبحث الأول: دوافع الغزو الإسباني
- المبحث الثاني: بداية الاحتلال الاسباني للسواحل
- المبحث الثالث: أوضاع الجزائر الداخلية بداية القرن 16م

بينما كانت دول المغرب العربي منهمكة في الحروب فيما بينها، وفي قمع الثورات الداخلية استفحل خطر الأساطيل الأوربية ولاسيما الإسبانية منها، التي أصبح هدفها القضاء على سيطرة المسلمين على مناطق الغربية في البحر المتوسط والهجوم على المدن وأراضي إفريقيا [1]، خاصة المغرب الأوسط الذي كان الاحتلال الإسباني لها امتدادا للحروب مع المسلمين، وأطلق عليها الإسبان اسم «حروب الاسترداد»[2] التي اتخذت صبغة دينية بالحيث كان لها تأثير واضح على الصراع[3]، فأقدموا على احتلال المرسى الكبير 1505م ثم تدخلوا في مشاكل تنس واستولوا على وهران 1509م وبجاية 1510م وتلمسان وعنابة 1510م[4].

1 – **إسمهان العربي**، «المدن الساحلية ودورها في الصراع البحري الإسلامي المسيحي (مدينة عنابة نموذجا)»، العصور، العدد21، الجزائر،2013، ص 262.

2 – «هي حروب طويلة خاضتها النصارى في الشمال ضد المسلمين في الأندلس، ويعتبر المؤرخون الإسبان معركة كوفا دونجا 718 هي البادية الحقيقية لهذه الحروب بشدتها وقسوتها ولم تقل شراستها عما دار في الشرق من الحروب الصليبية بل كان الروح الدينية فيها أوضح وأغلب من ذلك تلك التي قامت في الشرق فكانت امتداد لها فأعطت لإسبانيا دفعة قوية ضد العرب والمسلمين». عن **صالح حيمر**، المرجع السابق، ص 32.

3 – المرجع نفسه، ص 32

4 – **يحيى بوعزيز**، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، د.م.ج، 2007، ص 243.

المبحث الأول: دوافع الغزو الإسبان.

1- الدوافع الدينية:

من ملابسات والمناخ السياسي لإسبانيا منذ سقوط غرناطة كان يترجم على مدى عمق التأثير الديني، الذي كان سيطر على الناس، خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، والذي ألهب انتصار الإسبانيين وحفزهم إلى محاربة الإسلام، أينما كان و خاصة في أرضهم، إن هذا الإصرار وهذه الملاحقة وهذا العنف في محاربة أعداء الدين في نظرهم، من مميزات إسبانيا التي جندت خلال قرنين من الزمن وباسم الوحدانية وصفاء الدين والملك الكاثوليكي وقد فرض هذا الإيمان والتمسك أشدّ الواجبات على المواطنين للعمل على خلق العالم الجديد للإنجيل والدين المسيحي، باعتبار أن وحدة الدين هي الدعامة الراسخة للمجتمع[1].

ونجد أن الملكة "إيزابيلا" المجاهدة في سبيل المسيحية جهادا عظيما تركت عند موتها وصية ابنتها "جوهانا" وزوجها "فليب"[2] تأمرهما بأن يحققوا الوصية الغالية على قلبها، التي تود لو أنها حققتها بنفسها، ألا وهي غزو إفريقيا، وعدم الكف عن قتال في سبيل الديني المسيحي ضد الكفار[3].

ورفع علم الصليب الإسباني عليه بدلا من أعلام الهلال[4].

أصدر البابا ألكسندر السادس مراسيم بابوية يحث فيها على مواصلة الحروب الصليبية ضد إفريقيا وأقر ما كان يتقاضاه الحكام الإسبانيين من ضرائب مخصصة للجهد الحربي، مثل "ضريبة الصليب" "Crusuda"[5].

1- **عبد الجليل التميمي**،« الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني وقضية المورسكين»، العدد 10-11، تونس 1987، ص68.

2- **صالح فركوس**، تاريخ الجزائر من قبل ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار هومة، عنابة، 2005، ص 100.

3- **أحمد توفيق المدني**، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص81.

4- **جلال يحي**، المرجع السابق، ص64.

5- «هي ضريبة فرضت على كل رعايا الملك الكاثوليكي يصادق عليها البابا كل خمس سنوات تعطى للحكام الإسبان لإنفاقها في تدعيم الجهد الحربي ».عن **صالح حيمر**، المرجع السابق، ص33.

فأصبحت إسبانيا تؤمن بأن من واجبها تطهير أرضها من المسلمين والإسلام، والتي أصبحت تخشى منه ومن شبحه[1]، التي دفعت إسبانيا في محاولة تنصير المسلمين بحيث أصبحوا مقيدين في كلامهم ومأكلهم ومشربهم، وتعليمهم، وعملهم، بحيث منعوا من الحديث باللغة العربية، اللباس العربي، وأجبروا على حمل إشارة زرقاء في قبعتهم[2].

وهذا ما بينه أحمد توفيق المدني في قوله: « أن التعصب الديني والرغبة الجامحة في تنصير المسلمين أواخر القرن 15، وطوال القرن **16**، أدى إلى التدخل في البلاد الإسلامية بالشمال الإفريقي».

ويظهر ذلك جليا من خلال الحروب التي أخذت صبغة صليبية حقيقية نظرا للدور الممتاز الذي قام بأدائه رجال الكنيسة، باعتبار المعركة معركة خاصة بهم[3] في حمل المسلمين قسرا على اعتناق المسيحية[4]، وهذا ما دفع كردينال "خيمينس" على تنفيذ الوصية، فقد قتل 4000 وأسر 8000 من المسلمين وحول المساجد إلى كنائس[5].

2- الدوافع الاستراتيجية والعسكرية:

يتمتع البحر الأبيض المتوسط بأهمية خاصة[6] أكثر من باقي المحيطات والبحار وكأن الله أخصه ليكون مركز العالم، وحلقة وصله وحقل ثرواته وموارده، فهو يقع في ملتقى ثلاث قرات كبيرة هي آسيا إفريقيا وأوروبا، وكان منذ القديم مركزا للحضارات منذ الحضارة الفرعونية إلى الحضارة الإسلامية فالأوروبية المعاصرة، كما أنه كان ميدانا للصراع منذ أقدم الأزمنة حتى يومنا هذا[7].

1- **جمال يحياوي**، المرجع السابق، ص66.

2- المرجع نفسه، ص 72.

3- **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص 71.

4- **عبد الجليل التميمي**، المرجع السابق، ص 71.

5- **صالح فركوس**، المرجع السابق، ص 180.

6- **يحيى بوعزيز**، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص244.

7- **حكمت ياسين**، «الغزو الإسباني في القرن السادس عشر أسبابه ومراحله ونتائجه»، الأصالة، العدد 14-15، 2011، ص-ص242-243.

فعلى شواطئه وقعت معركة "سلامين" الشهيرة سنة 480 ق.م بين الإغريق والفرس، ثم تلتها معركة "أكسيوم" سنة 41 ق.م بين أكتافيوس و كليوبترا في بداية العصور الحديثة، كانت معركة "ليبانت" سنة 1571م بين الإسبانيين والعثمانيين[1].

إن هذه المميزات والخصائص الهامة، التي تميز بها البحر الأبيض جعلت كل من إسبانيا والدولة العثمانية تطمع في الاستيلاء على الأقل أن يكون لها نصيب في السيطرة على خطوط ملاحة السفن، أو احتلال المواقع البرية الرئيسية المطلة عليه، ومن هذه الزاوية يسعى الملوك الإسبان إلى احتلال المغرب الأوسط، وكذا بقية بلاد المغرب حتى يتمكنوا من فرض هيمنتهم على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، والتحكم في مدخله المتصل بالمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق، الذي بدأوا الإبحار فيه نحو العالم الجديد ضرورة اقتصادية تسعى للهيمنة عليه[2].

أما من الجانب العسكري نجد طموح إسبانيا للتوسع وبسط النفوذ في مناطق واسعة من العالم، ففي الوقت الذي كانت فيه الخلافة العثمانية في أعلى مراحل قوتها، وكانت في عهد الفتوحات وبسط النفوذ، حيث استطاعت، ضم سوريا ومصر وفارس، وشمال إفريقيا، وغيرها من الدول الأوروبية، كما كانت إسبانيا هي الأخرى في قمة مجدها بحيث فرضت سيطرتها على شبه جزيرة ايبيريا ثم وجهت أنظارها إلى الشواطئ الجنوبية والشرقية والغربية في محاولة لبسط نفوذها هناك[3].(**أنظر الملحق رقم 01**)

فأقامت قواعد عسكرية أمامية على السواحل الجزائرية ،وفي بقية بلدان المغرب الكبير، تحول دون الاتصال بين جزائريين وبقايا مسلمي الأندلس دون حصول هؤلاء على أية مساعدة من إخوانهم مسلمي الجزائر، وتجعل الغزو البحري انطلاقا من الشواطئ الجزائرية إلى الشواطئ الإسبانية غير ممكن، وبذلك يصنعون حدا للأضرار التي كان يلحقها غزاة الجزائر بشواطئهم، ويؤمنون خطوط مواصلاتهم الهامة بين

1- المرجع نفسه، ص243.

2- **عبد القادر فكاير**، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره 910- 1206هـ/ 1505- 1792م، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 33.

3- **حكمت ياسين**، المرجع السابق، ص243.

إسبانيا إيطاليا، ويتخذون من تلك القواعد الأمامية منطلقا لغزو المناطق الداخلية مستغلين بذلك الأوضاع السيئة فيها[1].

3- الدوافع الاقتصادية:

لقد تعرضت إسبانيا إلى انهيار اقتصادي رهيب بعد طرد المسلمين واليهود من أراضيها اللذين كانوا يشكلون العمود الفقري، لاقتصاد بلاد الأندلس، بذهابهم تعطل الإنتاج وغابت وسائل التصنيع[2] وأصبحت التجارة الخارجية بين التصدير والاستيراد كلمة لا مدلول لها أما المعاملات المالية والقروض وما إليها، فقد أصبحت أثرا بعد عين، وأمام هذه الحالة لم يبقى للإسبان من سبيل لكسب المعيشة إلا ذلك النوع من اللصوصية المسلحة والعدوانية التي تدعى الاستعمار[3]، فتوجه زعماء هذا البلد إلى اكتساح بلاد المغرب وعلى وجه الخصوص المغرب الأوسط، كإجراء وقائي وسلوك يراد به الرغبة في وضع حد لهذه الأزمة الخانقة وذلك عن طريق الاستفادة من موارده المتنوعة[4].

ومما لاشك فيه أن بلاد المغرب كانت تتوفر على خيرات لم تكن موجودة في أوروبا، حتى عصر الكشوفات الجغرافية، وكان التجار الأوروبيون يجوبون كثيرا بلاد المغرب خاصة المدن الساحلية واستمرت حتى نهاية القرن الخامس عشر، بحيث نجد العلاقات التجارية بين جنوة ومدينة القل بالجزائر كانت نشيطة، فأهلها كانوا يمتلكون الجلود والشمع والتي توفرها المناطق الجبلية، ويتبادلون البضائع التي يحملها أهل جنوة إلى مينائهم، مما جعل أمير قسنطينة الحفصي يأمر ببناء منازل للتجار الجنوبين بالقل، وأنشأ لهم قرية يقيم بها الحراس على الدوام للإخبار بالسفن المتجهة إلى الميناء، وهذا الاهتمام كان تسهيلا لنشاط وتشجيعا للنشاط التجاري في قسنطينة[5].

1- **عمار بن خروف**، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي، ج1، دار الأمل، الجزائر، 2006، ص18.

2- **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص31.

3- **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص87.

4- **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص32.

5- **صالح عباد**، الجزائر خلال الحكم التركي 1519-1830، دار الهومة، الجزائر، 2007، ص17.

ثم توقفت العلاقات التجارية مع مطلع القرن السادس عشر نتيجة سيطرة الإسبان على السواحل الجزائرية، وكان هدفهم من ذلك استغلال الموانئ والاستفادة منها كمركز تجاري واقتصادي[1]، واخضاع باقي المدن التي تتمتع بثروات حيوانية ومحاصيل زراعية ،كعنابة ووهران واحتكار التجارة الخارجية للجزائر والنفوذ منها نحو أعماق إفريقيا، إلى بلاد السودان الغنية بالذهب [2].

1- **عبد الكريم غلاب**، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2005، ص333.

2-**عمار بن خروف**، المرجع السابق، ص20.

المبحث الثاني: بداية الاحتلال الإسباني للسواحل

1- المناطق الغربية:

-المرسى الكبير

بعد أن أتّم الملك الإسباني "فردينا ند"، تجهيز الحملة التي موّل أسطولها كاردينال الوزير "خمينيس" بأمواله الخاصة، بشرط أن يكون قرضا من الكنيسة[1]، توجّه الأسطول الإسباني لغزو المرسى الكبير[2]، فغادر مدينة مالقة في 29 أوت 1505م، تحت قيادة دون رايمون دي قرطبة " Don Raymond Di Cortodoue" وكان الأسطول ينقل معه قوة من الجيش تقدر بحوالي خمسة آلاف رجل، وصل الأسطول إلى المرسى الكبير في 11سبتمبر، بعد أن اعترضته رياح معاكسة، وكان هذا التأخر في صالح الإسبان لأن جماعة المسلمين الذين جاءوا تلبية لنداء الجهاد، تفرقوا بعد أن طال انتظارهم تاركين عدد قليلا من أجل المراقبة والاستطلاع[3].

وعندما بدأ الإسبانيين عملية الإنزال، قاوم المسلمون مقاومة قاسة وعنيفة، إلا أن المدفعية الإسبانية قد اضطرّتهم لترك مراكز الدفاع والانسحاب للداخل، وبسبب اختلال موازين القوى بين الطرفين بعد مقتل قائد الحامية، أثناء الليل تشاور سكان المدينة فيما بينهم في اجتماع عقدوهم في دار المزوار، وكانت أغلبية تميل إلى متابعة الجهاد في حين كانت الأقلية ترغب في الاستسلام وحجتها أنه من المحال على الحامية التي لا تزيد في الأصل عن خمسمائة رجل التغلب على قوة مشكلة من خمسة آلاف مقاتل إسباني[4]، وهذا ما أدى بالحامية إلى الاستسلام بعد خمسين يوما[5].

1- **أحمد بن سحنون الراشدي**، المصدر السابق، ص 11.

2- « هو قلعة محصنة على الساحل الابيض المتوسط على بعد فرسخ واحد من وهران، من جهة الغرب يتسع لعدد كبير من القوادس والسفن، كانت ترسو به كل عام سفن الضخمة القادمة من البندقية وبلاد اوروبا محملة بالبضائع التي تنقل بعد ذلك على قوارب الى وهران». عن **حسن وزان**، وصف إفريقيا، تر محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص327.

3- **صالح عباد**، المرجع السابق، ص 28.

4- **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص 87.

5- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ت ، ص 23.

وقد تم في النهاية مفاوضة الإسبان على تسليم المدينة، بشروط تتضمن انسحاب المسلمين من المدينة والحصون الموجودة بها، في أجل أقصاه ثلاث ساعات دون أخذ أسلحة ولا حتى شيء من زاد والمؤونة، وعندما تم الانسحاب اقتحم الإسبان المدينة في 25 أكتوبر 1505م[1]، ورفعوا فوقها أعلامهم، وحول مسجدها إلى كنيسة أطلق عليها اسم ميكائيل[2]، وأقاموا بها أول قداس لهم وحرروا 35 أسير الذين أسروا على ساحل الحملة قبل ثلاث سنوات[3]، وبمجرد تمركز الإسبان بالمرسى الكبير فتحوا سوق تجاري إلى جانب المدينة، من أجل تزويد حامياتها مما يلزمها من مواد غذائية مقابل ما عند الإسبان من ذهب وفضة، وهكذا منذ الوهلة الأولى ظهر التعاون مع العدو[4].

وبعد عامين من احتلال المرسى الكبير، اتجهت أنظار الإسبان لغزو قرية مسرغين[5]، أسندت قيادتها إلى "دون ديغو" من أجل الاستلاء عليها وسد حاجيات الجيش الذي أوتوا به، لكنهم فوجئوا بأهالي القرية والمدافعين عنها يقفون في وجه الجيش بصلابة، وأتاح صمود سكانها الفرصة لوصول نجداتها التي تدفقت عن القرى المجاورة، ومن وهران ذاتها ودارت دائرة على الجيش الإسباني، فقتل منه حولي ثلاث آلاف جندي وفر الباقون إلى المرسى الكبير للاعتصام بأسوارها المنيعة[6]، وعلى إثر هذه العزيمة اعتصم الإسبان بالمرسى الكبير حوالي عامين ضمدوا فيها جراحهم[7]، حيث استعد كاردينال خيمينس، للهجوم على وهران وكان يرغب أن يقودها بنفسه وتم له ما أراد في 20 أوت 1508م[8].

1- **مرمول كربخال**، إفريقيا، تر محمد حاجي وآخرون، ج3، دار النشر والمعرفة، الرباط، 1989، ص 328. وأيضا **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص 87.

2 - **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع نفسه، ص 88.

3- **يحي بوعزيز**، وهران، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 65.

4 - **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص91.

5 - «هي قرية صغيرة تبعد ثلاث مراحل عن المرسى الكبير، وهي تقع على مسافة 12 كلم من وهران، يصل بينهما طريق سهلي من تحت الحصون المدينة ولم تكن يوم ذاك سوى مضارب للقتال العربية، ذات قوى وتدعى دوار الغرابة». المرجع نفسه، ص ص93-94.

6 - **شوقي عطا الله الجمل**، المرجع السابق، ص 81.

7- **يحي بوعزيز**، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص 96.

8- **مبارك الميلي**، المرجع السابق، ص 26.

– وهران:

بعد مرور ثلاث أعوام من أخذ المرسى الكبير قام كاردينال خمينيس أسقف طليطلة، بتجهيز حملت كبيرة للقضاء على المسلمين في وهران[1]، ويعود الاحتلال الإسباني لهذه المدينة لعدة أسباب اختلف فيها المؤرخون فيرجع مختار حساني ذلك إلى:

– الحملات الصليبية التي كانت تقوم بها السفن الإسلامية ضد السواحل الإسبانية، من أجل تحرير المهاجرين الأندلسيين من الاضطهاد الذي تعرضوا له من قبل رجال الكنيسة بعد سقوط غرناطة، بحيث كان لهم تأثير كبير على البلاط الإسباني منذ حكم فرديناند الكاثوليكي وإزبيلا[2].

– أما أبو راس الناصري فيرجع ذلك، إلى دعاء الشيخ الهواري[3]، لما قتل بنو زيان ولدا وحضره لهذه الدعوة سيد علي الأصفر التلمساني وأنذرهم تلميذهم ابراهيم التازي بقصيدة ما انضم[4] إلى ذلك سيد احمد بن يوسف أحد أولياء الكبار والأتقياء الأخيار الهواري، ذهب مرة إلى وهران فعظمه أهلها أشد تعظيم، فكتب قائدها للأمير الزياني أن رجلا بأرض هوارة يخشى منه الملك فكتب الأمير إلى القائد «ابعثه إليّ أو أقتله»، فلما أتى الشيخ أهله برأس الماء بعث العاهل لأمير هوارة أحمد بن غانم فارتحل

1– «تعتبر مدينة وهران من أشهر المدن في الغرب الجزائري، تقع داخل خليج يحمل اسمها فالتاريخ لا يثبت شيئا عنها ربما كانت مستعمرة رومانية تدعى كيزا Quiza، ومن المحقق أن مرساها الكبير كان يتمتع بشهرة واسعة بإشرافها على جميع المدن الواقعة في الغرب الجزائري، كما تسيطر على طرق النقل البري والبحري في حركتها الداخلية والخارجية، حتى أصبحت تمثل طبقة وظيفية من حيث النوع والمستوى وحجم الوظائف بالنسبة للتجمعات العمرانية». عن **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص ص، 103-104، وأيضا **بشير مقيبس**، وهران دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 31.

2– **مختار حساني**، تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني، الجزائر، 2003، ص 10.

3–« الشيخ الولي الصالح العارف بالله ولد سنة 751 بجبل هوارة أي بقلعة بني راشد، وقيل انه من مواليد (كلميتو السور بالقرب من عين تادلس)، أحد الفقهاء و العلماء المتصوفين طاف الشرق والغرب واستقر بوهران، ومن مؤلفاته السهو في أحكام العبادة والتسهيل والتبيان وتبصير السائل». عن **أبو راس الناصري**، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح بوركبة محمد، ج1، م.و.ش.د، تلمسان، 2011، ص 200.

4– المصدر نفسه، ص 249.

الشيخ عن وطنه وقال "شوشهم الله في البر والبحر"، فلم يكن إلا قليل حتى شوش الله بني زيان في البحر بكفرة أخذوا وهران، ومن البر بالأتراك أخذو تلمسان[1].

وهذا ما أثبته أيضا محمد بن سحنون الراشدي في قوله: أن محمد الهواري هو الذي باع وهران للنصارى لما قتلوا ولده، فقال في قصيدته الملحونة عند استصراخه للأولياء الصالحين.

أين من وهران به سادا لو أن باعهم بيع أرخيص

لما أن مسـوه بالعطبـا عطبوا منه لأهل والجورا

وأشار المصنف إلى أن هذا الشيخ هو سبب تدمير وهران أقالها الله العثرة والهوان[2]، إذ قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[3].

استعدادات الطرفين:

ما أن أتّم الإسبان استعداداتهم حتى أبحر الجيش البحري بقيادة "بيدرو دينافارو" Navarro Pedro "[4]، من مرسى قرطاجنة الإسبانية في يوم 19 ماي 1509م،(**أنظر الملحق رقم 02**) على رأس خمسة عشر ألف مقاتل من بينهم عدد من نبلاء قشتالة الذين نزلوا في المرسى الكبير ثم زحفوا إلى وهران[5]، بعدما هيأ حاكم المرسى كل الوسائل والأسباب من أجل النصر السريع وانضم رجال الأسطول إلى الجيش[6].

ورغم الاستعدادات لحاميات وهران واصطدامهم بالقوات الإسبانية خارج المدينة، إلا أن تفوق الإسبانيين بالأسلحة النارية أرغمهم على العودة إلى المدينة للاحتماء بها وبحصونها وأسوارها.

وبينما كان المسلمون على الأسوار، لجأ عملاء إسبانيا الذين دخلوا وهران منذ مدة يوزعون شكوك البلبلة ويضرمون النار في أماكن مختلفة لإيهام الناس أن العدو موجود في المدينة ولا أمل في مقاومته[7].

1- المصدر نفسه، ص 152.

2- **أحمد بن سحنون الراشدي**، المصدر السابق، ص 445.

3- سورة الإسراء، الآية: 16.

4 - **حسن الوزان**، المصدر السابق، ص 330.

5- **يحي بوعزيز**، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص 96.

6- **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص104.

7 -**صالح عباد**، المرجع السابق، ص30.

فقد استعانة الإسبان بالسطورة[1]، المكاس اليهودي الإشبيلي وبعض أعوانه أمثال (عيسى العربي والقايد بن قانس)[2]، الذين ساعدوا في إدخال الجيش النصارى للمدينة سرا وقاموا بفتحها، فلم يبقى للمسلمين حينئذ بدا للدفاع وطمع للاجتماع على إثر ذلك قال أبو راس الناصري:

خامس عشر من عاشر أناح بها الإسبانيون أهل الشرك والرجس

جحافل الكفر قد حمو بوانيها وعن دفاعهم عجز أبو قلموس[3]

وتكبد المسلمين اثر هذه المعركة خسائر قدرت ب 4 آلاف مسلم وأسر حوالي 8 آلاف الذين تم ارسالهم إلى إسبانيا[4]، وأسالوا دماء أنهارا حتى احمرت مياه البحر[5].

كما قام الكاردينال خمينيس بتحويل كل مساجد المدينة إلى كنائس من باب التعصب الديني، من بينها "مسجد البيطار" وأنشأ معاقل وحصون وصوامع جديدة للدفاع ضد الأهالي، ونهب كل ما وجده في المدينة من تحف ونفائس كالكتب وقناديل وشحنها إلى إسبانيا[6]، وحرر بوهران ثلاثمائة أسير مسيحي وكافأ "سطورة" و"بن زهوة" وأبقاهما مكاسين على أسواق مدينة وهران، و أوكل إليهما مهمة استخلاص الغرامات من الأهالي[7].

وأقاموا نظاما عسكريا في المستعمرة يكفل لهم مراقبة سفن البحر المتوسط، ثم علموا على محو الإسلام من المنطقة وإحلال المسيحية محله، وكانت وهران ذات أهمية حيث اعتبروها باب إسبانيا

---

1 -« من مهاجري الأندلس، الذين أنقذوا من قبل مسلمي وهران ».عن **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص ص،116،111.

2 - **أغا بن عودة المزاري**، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تر يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1990، ص 211.

3 - **محمد بن يوسف الزياني**، المصدر السابق، ص141.

4 - **مسلّم بن عبد القادر**، أنيس الغريب والمسافر، تح و تق رابح بونار، ش.و.ن.ت، د.م، 1974، ص11

5 -**يحيى بوعزيز**، مدينة وهران عبر تاريخ، ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص41.

6- **أحمد سليماني**، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة، الجزائر، د.ت، ص 99.

7- **يحي بوعزيز**، وهران، المرجع السابق، ص67.

(Puerta de España)[1]، ولما دام الإسبان لهم الملك بوهران بنوا بها بناء ضخما به سورا عظيما وزادوا في بناء البرج الأحمر وبرج المرسى بالإضافة إلى عدة الأبراج كبرج مرجاجو[2]، وبرج رأس العين[3].

– تلمسان:

بعد أن وصلت الدولة الزيانية إلى أقصى درجات الضعف والانحلال، أخذ الإسبان يحتلون موانئها وأطرافها تمهيدا لاحتوائها وفق مخطط استعماري مدروس، فبعد وصول إلى تلمسان آخر أمراء بني الأحمر بغرناطة « أبو عبد الله بن سعد الزغل» بدأت التهديدات الإسبانية تظهر ضد تلمسان فاضطر الأمير الزياني أن يذهب بنفسه إلى إسبانيا ليطمئن "فردينا ند الخامس"[4].

وابتداء من 1503م أصبح الخطر الإسباني حقيقة واقعة، خاصة بعد أن تنافس على عرش تلمسان الإخوان «أبو زيان الثالث المسعود» و« أبو حمو الثالث بو قلمون»، وتغلب الثاني على الأول وأدخله السجن فاستغلت إسبانيا فرصة هذه الاضطرابات[5]، فكان في مثل هذه الظروف الصعبة أن تتوحد القوى الداخلية للإمارة، وتتكتل وتتناسى الأحقاد لكن الذي حصل هو العكس[6]، مما أدى بأعيان تلمسان ووجهاءها، الذين كانوا يتحسرون على الوضعية التي آلت إليها دولتهم ومنطقتهم الخاصة ودار السلام على العموم، أن يقوموا بمقاومة هذا الخطر المسيحي الكاسح، فأرسلوا وفدا إلى القائد

1- **صالح كليل**، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني للاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة ماجستر، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة 2006-2007، ص 48.

2- «بنيت قلعة مرجاجو أو برج سنتا كروز على قمة جبل هيدور، يراقب ميناء وهران والمرسى الكبير تماثل في موقعها قلعة كاتز Katz بألمانيا ونضرا لضيق المكان فقد كان أصل التسمية الإسبانية له بالسرج silla تشبيها ونعتا لأجمل قلعة على الساحل الجنوبي لبحر الأبيض المتوسط ».عن **علي خلاصي**، القلاع والحصون في الجزائر المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص277.

3- **محمد بن يوسف الزياني**، المصدر السابق، ص 158.

4- **يحي بوعزيز**، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص 88.

5- **يحي بوعزيز**، مدينة وهران عبر التاريخ، ويليه تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص 55.

6 – **عمار عمورة**، الموجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة، الجزائر،ط1، 2002، ص 234.

العثماني عروج الذي بدأ نجمه يعلوا وشهرته تزداد في بلاد المغرب يستنجدون به، فتقدم نحو تلمسان سنة 1518م، وقام بفك اعتقال أبي زيان وتنصيبه على العرش[1].

توجه أبو حمو الثالث إلى فاس ومنها إلى الحامية الإسبانية لوهران قاصدا شارل الخامس متضرعا إليه أن يعينه على أهل تلمسان، والتركي بربروس، فوجد التعضيد الكافي من الإسبان، وهو الأمر الذي جعله يعود إلى تلمسان رفقة الحامية الإسبانية، التي عاثت فسادا في المدينة وكان من بين القتلى في المعركة "عروج" سنة 1518م وكثيرا من الجند التلمسانيين[2]، وعاد أبو حمو إلى عرشه ولكن مكبلا بمعاهدة ابرمت سنة 1518م، يدفع بموجبها سنويا غرامة مالية[3].

لكن لم ينعم أبو حمو الثالث طويلا بالعرش الذي استرده بالخيانة وخلفه بعد وفاته « أبو محمد عبد الله الثاني»[4]، الذي سار على سياسة سلفه في موالاة الإسبان فثار عليه أخوه « الأمير سرحان مسعود»، بتأييد خير الدين بعد أن أعلن توبته وسرعان ما عاد إلى خيانته كان له خير الدين بالمرصاد، حتى توفي 1524م، وخلفه على عرش تلمسان «محمد السابع» الذي انحاز إلى الإسبان ضد الأتراك فثار السكان عليه وهزموه وفر إلى وهران ليستنجد بالإسبان الذين كانوا ينتظرون مثل هذه الفرص لصالح التوسع الصليبي، فأعدوا له حامية إسبانية من وهران احتلت تلمسان، وفرضت عليه هو الآخر معاهدة تقتضي بدفع ضريبة سنوية للإسبان، وكذا مساعدة القوات الإسبانية على التوسع في موانئ الجزائر[5].

وقد أثارت هذه المعاهدة غضب سكان تلمسان خاصة أنه على صلة ببعض اليهود الذين جعلهم وسطاء بينهم وبين الإسبان بوهران، لذا ثاروا ضده وبرز أخوه «أبو زيان أحمد الثاني» الذي افتك منه العرش بمساعدة قوات البايلرباي حسن باشا[6]، ففر محمد السابع ليستنجد بالإسبان الذين أمدوه بقوات

1- **عبد العزيز الفيلالي**، تلمسان في العهد العثماني، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 76.

2- **حسن الوزان**، المصدر السابق، ص 21.

3- **مولاي بلحميسي**،« نهاية دولة بني زيان»، الأصالة، العدد 26، م.و.ش.د، تلمسان، 2011، ص 34.

4- **عزيز سامح آلتر**، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر علي محمود عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989، ص 168.

5- **يحي بوعزيز**، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر، 2007، ص 89.

6- صالح فركوس، المرجع السابق، ص 101.

كبيرة اصطدم بها مع قوات أخيه في «شعبة اللحم» قرب تموشنت في جانفي 1543م التي انهزمت فيها القوات الإسبانية [1]، وفي 1544م استطاعت القوات الإسبانية من احتلال تلمسان التي انتقمت لهزيمتها السابقة، وثارت فيها فسادا وأحدثت في مقدساتها وحرماتها منكرا وفجورا [2].

غير أن سكان تلمسان لم يصبروا فثاروا ضد الأمير الخائن، وأرغموه على الفرار بتأييد قوات حسن آغا، ثم ظفروا به وقتلوه في احدى المعارك وأعيد أبو زيان إلى عرشه[3]، لكن هذا الأخير لم يلبث أن خضع إلى مؤامرات خارجية وإنساق في تيارها وأخذ التقرب من الإسبانيين، مما أدى إلى تدهور علاقاته مع قومه وأعوانه في تلمسان الذي قرّروا خلعه، ومبايعة أحد إخوته «الحسن »، فتوجه أبوزيان إلى وهران طالبا الدعم من الإسبانيين الذين أمدوه بقوات استطاع بها أن يسترجع عرشه 1547م، واعترف بتبعية للإسبان الذين تعرضوا بهزيمة أمام أسوار مدينة مستغانم إثر محاولة احتلالها[4].

2-المناطق الوسطى:

-الجزائر:

ومعناها الجزر وسميت بذلك لأنها مجاورة لجزر ميورقة ومنورقة واليابسة أو لأن الإسبان أطلقوا عليها أليجي، وهي مدينة قديمة بنتها قبيلة بني مزغنة كان يطلقون عليها قديما الجزائر بني مزغنة وكبيرة جدا[5]،لها أسوار مرتفعة حصينة مبنية بالحجارة، يحيط بها خندق عميق وحواجز من جميع الجهات، لها أربعة أبواب رئيسية، وبها قلعة تسمى البنيون[6].

1-**أحمد توفيق المدني**، «تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين1554،1530»،الأصالة، العدد26، م.و.ش.د، تلمسان، 2011، ص214.

2 - **يحي بوعزيز**، موجز في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص236.

3 - **يحي بوعزيز**، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص90.

4 - **بسام العسلي**، الجزائر والحملات الصلبية (1547-1771م)، دار النفائس، بيروت، ط3، 1986، ص 22.

5 -**حسن الوزان**، المصدر السابق، ص 37.

6 - «وهي جزيرة صخرية تبعد عن مدينة الجزائر ب 300 م تركز الإسبان فيها وتمكنوا من مدخل ومخرج المدينة، كما تسبوا في شل الأعمال البحرية وفرضوا على سكان المدينة تقديم الضرائب النقدية والعينية أرهقت الجزائريين وأشعرتهم بالذل والعار ».عن **عزيز سامح آلتر**، المرجع السابق ص 127.

كانت خاضعة لتلمسان لمدة طويلة لكنها استسلمت لملك بجاية لقربها من مملكته، فانحاز أهل الجزائر إلى ملك بجاية، وهنا لعدم قدرة ملك تلمسان انجادهم فبيعوه وأدوا أليه الخراج لكنهم بقوا متحررين، وبعد ذلك سلحوا السفن وتحولوا إلى مجاهدين، فصاروا يغرون على جزر يابسة وميورقة ومنورقة، وحتى الشواطئ الإسبانية لذلك أرسل الملك الكاثوليكي فردينا ند أسطولا عظيما لحصار الجزائر فشيدوا قلعة جميلة كبيرة في جزيرة صغيرة مقابلة تماما للمدينة و قريبة منها ،حيث كانت قذائف المدفعية تصل إلى اليابسة بل تمر فوقها من سور إلى سور، فاضطر أهل الجزائر إلى إيفاد (إرسال) سفارة إلى إسبانيا تطلب الهدنة عشر سنوات مقابل بعض الخراج[1].

كان ذلك في 31 جانفي 1510م، أي بعد أيام من نكبة بجاية الدامية ووقع المندوبون في المدينة وثيقة استسلام التي يعترفون فيها بالسيادة الإسبانية ويقدمون الرهائن ويطلقون سراح العبيد المسيحيين[2] الذين هم في الجزائر، كما اشترط الإسبان بأن يسير قائد مدينة الجزائر سالم التومي شيخ الثعالبة بنفسه إلى بورغوس في إسبانيا رفقة أمير تنس[3]، وكان القائدان محملان بالهدايا الثمينة، يتبعهما حوالي 130عبدا من العبيد المسيحيين المحررين.[4]

وفي سنة 1514م سار وفد جزائري إلى إسبانيا وتفاوض مع مجلس سرقسطة Saragosse، اتفق الجانبان على أن يسلم الجزائريون أكبر جزرهم الصخرية لكي يقيموا عليها معقلا يحرس تجارتهم ويضمن حرية مواصلتهم البحرية ويجعل مدينة الجزائر نفسها تحت رحمة مدافعهم إلى أن يباشروا تنفيذ خطتهم الثانية، التي هي التوغل داخل البلاد مركزين على البلاد الساحلية التي يحتلونها.[5]

وبمجرد إمضاء الاتفاق، أرسل الإسبان أحد المهرة من المهندسين العسكريين "موتي نودي رنتي ريا" فأشرف على بناء القلعة البحرية التي أصبحت تدعى بصخرة Penon D'argel، يقول المبارك الميلي أن هذا الحصن هو مصدر الاعتداءات المستمرة ضد مدينة الجزائر كما كان بمثابة السيف يتصدد

1 - **حسن الوزان**، المصدر السابق، ص 38.

2- **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص 59.

3- **حليمي عبد القادر علي**، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، دار الفكر الإسلامي، ،الجزائر،ط1، 1972، ص 170.

4- **صالح فركوس** ،المرجع السابق، ص 34.

5- **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق ،ص 127.

بها في كل آونة[1]، وأنزل الإسبان بالحصن نحو 200 جندي وشحنوه بالسلاح وهنا لرصد غزاة المسلمين وحماية الثغور الجزائرية المحتلة[2].

أصبحت الجزائر يومئذ مرغمة أمام حلين اثنين إما الاندفاع نحو فتح واجهة حربية بحرية لمحاربة القرصنة الأجنبية، والدخول في أحد مع كبار البحارة الملاحين المسلمين الذين دانت لهم البحار والثغور بالبحر الأبيض المتوسط ولم يكن لأهل الجزائر يومئذ يد من أحد هذين الحلين مع طي حضارتهم القائمة على ما بنوه وأشادوا من دولتهم الناشئة والالتفات إلى هذه الحرب البحرية الشديدة وتلك هي الظروف هي التي لابست الجزائر وألقت بها في أحضان الدولة التركية العثمانية.[3]

- **تنس:**

مدينة عتيقة بناها سكان البلد الأصليون على سفح الجبل على نصف فرسخ من البحر جعلها بطليموس عند احدى عشر درجة من خطوط الطول وثلاثين دقيقة من خطوط العرض، وهي في منتصف الطريق بين مدينة وهران ومدينة الجزائر، تبعد كل منهما بثلاثين فرسخا.[4]

كانت خاضعة لأمراء تلمسان، عندما مات محمد بن زيان ترك ثلاث أولاد[5] أكبرهم عبد الله وثانيهم ابو زيان وثالثهم يحي، فآل الحكم إلى الأول بعد وفاة أبيه، وتآمر الآخران مع بعض الشخصيات[6] من تلمسان على اغتياله لكن المؤامرة انكشفت فألقي على أبي زيان وزج به في السجن مدة طويلة إلى أن حرره بربروس[7].

أما الأخ الثالث فهو يحي فقد فر إلى فاس محتميا بملكها محمد الوطاسي وفي هذه الفترة كانت إسبانيا تستعد لضرب وهران والمسلمون يستعدون للجهاد[8]، فاغتنم الأمير الزياني يحي الفرصة وأعلن الثورة

1- **الميلي مبارك**، المرجع السابق، ص 43.

2 -**شوقي عطا الله الجمل**، المرجع السابق، ص 84.

3 -**عبد الرحمان الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، ج 2، دار الأمة، الجزائر، 2002، ص 277.

4 -**مرمول كربخال**، إفريقيا، تر محمد حجي وآخرون، ج 2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984 ، ص 354.

5 -المصدر نفسه، ص 353.

6 -**حسن الوزان**، المصدر السابق، ص ص 35-36.

7 -**عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص58.

8 -**أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق،ص110.

ضد عمه أبو حمو الثالث ويسيطر على المدينة تنس سنة 1506م[1] بإعانة وتأييد من إسبان المرسى الكبير، وتحت حمايتهم، ونجحت مساعي الحاكم الإسباني، وأخذت قطرة الزيت الإسبانية تنتشر شيئا فشيئا[2] حتى بايع أهل تنس يحي ملكا ودام حكمه عدة سنوات ولقب بأمير تنس[3] ودان للإسبان منذ سنة 1506م واستمرت المعارك بين العم و ابن أخيه ولكن حيش تلمسان رفض استمرار القتال ولا ندري لماذا؟ وثبت الثائر يحي في تنس وبعد وفاته خلفه في الحكم ابنه أبو عبد اللي[4].

وقد اضطهده باربروس حتى اضطر إلى الانتقال إلى قشتالة، ومعه عياله وأحد إخوته، طالبا النجدة من شارلكنت واعتنق الدين المسيحي، واتبعه أخوه في التنصير ثم تعميدهما ودخلت إمارتهما في حكم الأتراك[5].

- **شرشال:**

مدينة كبيرة شيّدها الرومان على ساحل البحر المتوسط، وهي تقع ما بين مدينة تنس ومدينة الجزائر تفصلها عن كل منهما 15 فرسخا في البحر[6]، بها أسوار مبنية بأحجار ضخمة منحوتة، كانت بها قلعة عظيمة قائمة على صخرة يتم من خلالها مراقبة البحر، استطاع القوط الذي مروا إلى إسبانيا الاستيلاء عليها وأبقوها على التبعية لهم مدة طويلة، ثم عادت إلى العرب فأعادوا إليها سالف ازدهارها، لكن الخليفة الشيعي الذي أقام بالقيروان ودمرها ولم يبقى منها إلا الأطلال، وظلت على تلك الحالة مدة ثلاثة قرون[7].

وبعد سقوط غرناطة قصدها الأندلسيون وأعادوا بناءها وجددوا القلعة، ووزعوا الأراضي بينهم وصنعوا الكثير من السفن للملاحة واشتغلوا بصناعة الحرير، ثم استعادها فردينا ند وكان في المدينة أكثر

1- **صالح فركوس**، المرجع السابق، ص 58.

2-**أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص 110.

3- **حسن الوزان**، المصدر السابق، ص 109.

4- **مرمول كربخال**، إفريقيا، ج2، المصدر السابق، ص 353.

5 -المصدر نفسه، ص353.

6- **حسن الوزان**، المصدر السابق، ص34

7- **مرمول كربخال**، إفريقيا،ج2، المصدر السابق، ص355.

من خمسة ألاف منزل وأزيد من ألف مقاتل من حملة القذائف والبنادق[1]، وبعد احتلال الإسبان مدينة بجاية سنة 1510م، وجدت المدن الساحلية نفسها مجبرة على توقيع معاهدة الولاء للإسبان، ونتيجة للضعف الذي أصاب السلطة المركزية بتلمسان توجهت الأقاليم الساحلية التابعة لها إلى إعلان انفصالها وأصبحت مضطرة للتحالف مع الإسبان[2].

وكان شأن مدينة شرشال كشأن المدن الأخرى (تنس، ودلس، ومستغانم)، ووقع شيوخ المدينة وأعيانها معاهدة استسلام في شهر ماي 1511م، وأرغموا على دفع الضرائب[3]، وكان سكان مدينة شرشال أذكياء فلما نزل بربروس بالمدينة أحسنوا استقباله وعرضوا عليه المرسى لإقامة رصيف يحمي سفنه من الرياح[4]، وخضعوا له وقدموا له خراج سنويا قدر بثلاثمائة مثقال[5].

3-المناطق الشرقية:

- بجاية:

نظرا لأهمية موقع بجاية، وللمكانة الدينية التي كانت تحتلها فد كانت الهدف للكاردينال "خمينيس" الذي أمضى وقتا في الاستعداد لنقل ثقل الهجوم من الغرب باتجاه الشرق، فبعد الاستلاء على وهران والمرسى الكبير حاول الإسبان السيطرة على مواقع حساسة لمراقبة البحر المتوسط والاستحواذ على التجارة[6]، فأخذت تستعد لحملة ضد مدينة بجاية[7]، مستغلة الخلافات العرشية (أي الصراع بين عبد الرحمن الحفصي الذي ثار ضد ابن أخيه وزج به في السجن بعد أن أفقده بصره) التي أتيحت لها الفرصة

1- المصدر نفسه، ص356.

2-**عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص58.

3-**عمار عمورة**، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر خاصة ما قبل التاريخ إلى غاية 1962، ج2، دار المعرفة، الجزائر، د.ت، ص44

4- **مرمول كربخال**، إفريقيا، ج 2، المصدر السابق، ص356

5- **حسن الوزان**، المصدر السابق، ص34.

6 -Charles Féraud, congé vête de bougéte par les espandes d'après un manuscrit arabe, R.A,**T** 12, 1868, PP 248, 250.

7- «تقع على الساحل الشرقي من أرض الجزائر على خط زوال 2.45 غرينيتش وخط عرض 32.45 أما عرض خليجها 28 ميلا وينحصر بين رأسين بارزين في البحر، مما جعلها ذات مرسى من أحسن المراسي». عن **أحمد توفيق المدني**، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 115.

للقيام بهذه الحملة[1]، حيث غادرت السفن الإسبانية المرسى الكبير في 30 نوفمبر 1509م، بقيادة «بيدرو نافرو»، باتجاه جزر البليار حيث قضى شهر ديسمبر هناك، وانضمت إليه قوات دعم إضافية من إسبانيا، ثم أقلع الأسطول بقوة عشرون سفينة تحمل عشرة آلاف من صفوة الجيش معززة بالمدفعية وآلات الحصار لتصل مدينة بجاية في 05 جانفي 1510م[2].

شرع الأسطول الإسباني عند وصوله إلى واجهة بجاية في قصف المدينة لضمان إنزال الجيوش التي ستتمركز بالواد وتحديدا في الموضع الواقع أسفل ضريح "سيدي عيسى سبوكي"[3]، بحيث قسم "بيدرو نافرو" قائد الحملة قواته إلى فرقتين:

- الأولى كانت مهمتها مجابهة قوة المجاهدين في جبال قورايا.
- أما الثانية فواجبها الانقضاض على بجاية واقتحامها[4].

وعندما رأى المسلمون الخطر قد بلغهم تنادوا للجهاد، واستعدوا للدفاع عن مدينتهم، فتسلقت فرقة منهم تقدر ب 10 آلاف رجل لكي يمنع الإسبان من النزول إلى البر، فاشتدت المعركة بين المجاهدين المسلمين والإسبان الذين تسلقوا الجبل تنفيذا للخطة، لكن الإسبان رغم الدفاع تمكنوا من الوصول إلى أعلى المدينة مما نتج عنه انتصار الإسبان وإبادتهم لأكثر من أربعة آلاف مسلم[5]، ونهب ما في بيوتها وقصورها[6]، ومساجدها وشحنت هذه الغنائم على متن ثلاثون سفينة فغرق معظمها إثر هبوب عواصف شديدة[7].

1- المرجع نفسه، ص 109.

2- بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، دار النفائس، بيروت، ط1، 1980، ص ص 67-68.

3 - **يوسف بنو جيت**، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر ميلادي، تر محفوظ قداش وسامية سعيد عمار، دار النشر دحلب، الجزائر، 2009، ص 43.

4- **بسام العسلي**، الجزائر والحملات الصليبية، المرجع السابق، ص 68.

5 **-** المرجع نفسه، ص 68.

6- «منها قصر اللؤلؤة، قصر الكوكب الذي يعود تاريخهما إلى العهد العثماني». **عن عمار عمورة**، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ص 42.

7- **اسماعيل العربي**، «بجاية»، الأصالة، العدد19-20، تلمسان،2011، ص 368.

استقر بطرس في أماكن آمنة وملائمة حتى يهيمن على قوات بجاية، والتي يتواجد معظمها في مقاطعة قسنطينة لردع غارات التي اعتاد أبو بكر[1] أن يشنها على أخيه عبد العزيز، فأرسل انظار إلى الأمير عبد الرحمن المتواجد في بجاية يأمره بالتخلي عن السلطة، فرفض هذا الأخير مما أدى بالإسبان إلى قصفها ففر سكانها من المدينة[2].

ولما وصل خبر وصول الإسبان إلى بجاية أرسل السلطان عبد العزيز ابنه أبا فارس ليجمع كل فرق المقاتلين في البلاد ودفع الغزاة عن المدينة[3]، اندفع أبو فارس وأبو عبد الله وسط المحاربين، الذين هرعوا من كل أنحاء البلاد منهم: العرب وقبيلة سدوكيش وكتامة وسكان القبائل المجاورة وزواوة إضافة إلى أربعة علماء، وقد التحق بهم في نفس الوقت بنوا عبد الواد وتوجين لكن التنظيم الجيد للجيوش بطرس نفاروا عاد عليها بالنصر إذ تراجعت قوات بجاية من جديد أمام نيران العدو، ومن ثم سيجبر الهجوم المضاد للإسبان جيوش أبي فارس على التقهقر الذي أدى إلى هلاك العديد من الجيوش[4]، والتي بلغ عددها أربعة آلاف وخمسمائة فردا منهم ولدا السلطان (أبو فارس، وعبد الله) ورجال الدين والمرابطون[5].

ويعود إخفاق جيش عبد العزيز إلى التدخلات المباغتة لأخيه أبي بكر الذي لم يشتبك في المعركة بنية النصر وإنما لإنهاك أخوه، وهذا ما استغله الإسبان حيث كان انشقاق الصفوف لعبة العدو دائما، التي منحت له الفرصة للولوج بشوارع المدينة واحتلالها ومنحه مكاسب عدة أهمها:

- خضوع السلطان الحفصي بتونس أبو عبد الله عم المتوكل وقبوله بدفع الجزية.
- خضوع مدينة الجزائر التي أصبحت مطوقة من الشرق ببجاية ومن الغرب وهران وتعهد حاكمها بدفع الجزية وموافقة أهلها على تسليم الجزيرة المقابلة للجزائر من أجل اقامت قاعدة بحرية إسبانية[6].

1 - «من أبناء السلطان الحفصي، وهو سلطان على إمارة كوكو (قسنطينة)». عن **مبارك الميلي**، المرجع السابق، ص 345.

2 - المرجع نفسه، ص 49.

3 - **صالح عباد**، المرجع السابق، ص 32.

4- **يوسف بنو جيت**، المرجع السابق، ص ص 45-46.

5- **صالح عباد**، المرجع السابق، ص 32.

6- **صالح كليل**، المرجع السابق، ص 51.

وأمام الخراب الذي أصاب المدينة وعزل الحامة الإسبانية هناك، أرسل المالك "فاردينا ند" للحاكم العام "أنطونيوا دي رفا نيد" رسالة مؤرخة يوم 13 أكتوبر1511م، يطلب فيها السماح بعودة المسلمين إلى المدينة، وضمان سلامتهم وحرية القيام بشعائرهم الدينية، ثم انتقلت إسبانيا إلى احتلال عنابة في العام نفسه والمدن المحاذية له، كما عمد "بيدرو نافروا" على انتهاج نفس أسلوب المعتاد في التعامل مع الأهالي والتحالف معهم، حيث قام بتقديم المساعدة الطبية للملك عبد الله على استعادة بصره فأعلن الولاء لإسبانيا والخضوع لها والعمل تحت رايتها[1].

قرر بيدرو الاستفادة من هذا الوضع باحتضان الملك عبد الله، لتقسيم المجاهدين بضرب الواحد للآخر، ففي 13 أفريل غادر بيدرو بجيش قوامه ألف وخمسمائة رجل رفقة الملك عبد الله، وجماعة من رجاله وفرسانه فاخترقوا الجبل المحيط حيث وجدوا هناك خيام الملك عبد الرحمن، فبعد معركة قصيرة انهزم فيها هذا الأخير، في حين قتلت زوجته[2] وعدد كبير من أنصاره، فكتب بيدرو رسالة إلى الملك فردينا ند يستشيره في تعيين الملك عبد الله ملكا على بجاية، غير أن نجاة عبد الرحمن واستمراره في المقاومة حمل بيدرو على الاستفادة من الملكين معا فتم الاتفاق بين فردينا ند وعبد الرحمن ملك جبال البربر، وعبد الله ملك بجاية على تقسيم مناطق النفوذ وممارسة النفوذ تحت اشراف إسباني[3]، من خلال معاهدة سميت معاهدة " البأس والشقاء"[4]، والتي فاضل فيها بين الملكين سواء الخاضع أو المتظاهر بالمقاومة.

ولكن رغم خضوع واستسلام الملكين ورغم كل الأساليب الفظيعة التي استعملها الإسبان لإخماد شوكة المسلمون، فإنهم لم يستسلموا لليأس وتنادوا للجهاد ضد المحتل الغاصب واعترفوا بإمارة أبي بكر الذي كان يحكم قسنطينة باسم الحفصيين[5]، ويعتبر 25 ماي 1510م هو اليوم الذي استولى فيه

1- **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة ،االمرجع السابق، ص 116.

2- **بسام العسلي**، الجزائر والحملات الصليبية، المرجع السابق، ص 69.

3- **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع نفسه، ص 120.

4-« انعقدت على القواعد والأسس الآتية: استمرار عبد الرحمن ملكا على جبال القبائل واعترافه علنا بامتلاك إسبانيا لمدينة بجاية، وصخرة الجزائر، وتادلس وكل المراسي التي على البحر». المرجع نفسه، ص 134.

5- المرجع نفسه، ص ص 127-128.

الإسبان نهائيا على بجاية واستمرت بينهم المعارك إلا أن قام سكانها بالاستنجاد بالأخوين عروج وخير الدين[1].

– عنابة:

بعد احتلال إسبانيا لبجاية والسيطرة عليها وجهت أنظارها لاحتلال عنابة[2] سنة 1510م لتصبح إثر هذه العمليات سيدة الموقف دون منازع بين بجاية شرقا ووهران غربا وصخرة الجزائر وسطا[3]، ولعل أهم الغارات الإسبانية التي تعرضت لها عنابة في القرن السادس عشر، كانت حملة شار لكان التي أرسلت بقيادة أندري دوريا على رأس جيش قوامه ألفين من المقاتلين على متن ثلاثون سفينة حربية، ولما وصلها وجد أنها أخليت من أهلها الذين انسحبوا رفقة بربروس، وعين "دون ألبار غوميث" حاكما عليها ورجع "أندري دوريا" إلى حلق الوادي بعد أن استولى على البعض[4].

ومكث الإسبان بعنابة مدة 12-13 يوما قضوا كامل الوقت في النهب الشامل فأقلعوا حتى صفائح المرمل من جدران المنازل، ونهبوا كل ما استعمل في البلاد من كبار الأريحية وصغارها، أمل الأمتعة كبيرة الثقل والواسعة الحجم فقد كسرت حتى يلتقط حديدها، وحملت صناديق على البواخر، ويتبين حرص شارل كان على التمسك بالمدينة في إحدى المراسلات التي كانت بينه وبين دون "ألبار غوميث" الذي يلخص فيها مدى أهمية المدينة من الناحية الاستراتيجية[5] ،كونها تمثل مركزا هاما في إطار السياسة العدوانية التي انتهجتها إسبانيا في المغرب، والرامية إلى مراقبة الملاحة المتوسطية ونفاذ الأقطار المغربية في

1- **تواتي بومهلة تواتي**، بجاية حاضرة البحر ونادرة الدهر، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص 111.

2- « تأسست على يد الفنقين منذ منتصف القرن 11 ق.م، حيث أطلقوا عليها اسم هيبو UBBON، وهي كلمة سامية فينيقية اختلف باحثون حول معناها، فهناك من يرى أنها تعني الخليج أو الملجأ، ثم أصبحت تعرف ب بونة، التي أتم المسلمون فتحها على يد حسان في عهد الخليفة حسان بن نعمان، لكن هذا الاسم لم يلبث متداول بين الناس حتى صارت تعرف بعنابة نسبة للنبات الذي ينموا تلقائيا، فهي ترتبط بالقصبة بواسطة السور دعمت به تحصينا لمنع نزول أي حملة بحرية إلى البر». عن **اسمهان العربي**، المرجع السابق، ص 262. وأيضا، **علي خلاصي**، المرجع السابق، ص 165.

3- **يحي بوعزيز**، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص33.

4- **سعيد دحماني**، من هيبون- بونة – عنابة تاريخ تأسيس القطب الحضاري، م.م بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص106.

5- **سعيد دحماني**، عنابة فن وثقافة، وزارة الإعلام، الجزائر، د.ت، ص59.

البحر المتوسط[1]، وهذا ما جعل شار لكان يرد على ألبار برسالة أخرى توضح تحمسه للتقرير الذي بعثه ويقرر جملة من الترتيبات التي تصب في صالح تمسك الإسبان بها، ومن أهمها تحسين القصبة.

لكن الحامية الإسبانية في القصبة لم تستطع الصمود كثيرا نظرا للحصار الذي فرض عليها، والغارات التي شنها العنابيين المعتصمون بضواحي المجاورة للمدينة، وهكذا بعد تزايد المشاكل ومقتل دون ألبار من طرف جنوده، وعدم استطاعة الحاكم الجديد السيطرة على الوضع غادرت الحامية الإسبانية بعدما خربت قصبة المدينة واسترجعها خير الدين[2].

1- **ميكال دي ايباترا**،«العلاقات التاريخية بين عنابة وإسبانيا»، الأصالة، العدد 34-35، الجزائر، 1976، ص 112.

2- **اسمهان العربي**، المرجع السابق، ص 264.

المبحث الثالث: أوضاع الجزائر الداخلية بداية القرن 16م

1-الأوضاع السياسية:

-ضعف الدولتين الزيانية والحفصية:

إنّ من يتأمل في حياة الجزائر السياسية في مطلع القرن العاشر هجري (16م)، يجد أن الجزائر كانت تعيش في أزمة كبيرة حيث أن الدولتين الحفصية والزيانية، كانتا تقتسمان النفوذ فيها، الأولى في القسم الشرقي والثانية في القسم الغربي، لقد بلغتا درجة كبيرة من الضعف نتيجة عوامل عديدة بعضها داخلي وبعضها الآخر خارجي، نذكر منها:

– التنافس على السلطة بين أمراء الأسرتين الحاكمتين، مما أضعفها وأنهك قواهما ،مما أدى أخيرا إلى تجزئهما وتفككهما وتقلص نفوذهما وقد كان متنافسون يضطرون إلى الاستعانة بالقبائل العربية كبني عامر وذواودة، وأولاد سعيد، وشابين[1]، والتي كانت تشتغل حاجاتهم إليها وضعفهم لتتنمر عليهم وتقلص نفوذهم إلى حد كبير ،وتدهور وضعها الاقتصادي نتيجة نقص مواردها،[2] بخروج مناطق عديدة من سلطتها واضطرار الدولتين إلى تقديم قسط كبير قد يبلغ نحو نصف من مدخولها القليل إلى القبائل حتى تؤمن شرها، مما كان له انعكاسه على القدرات العسكرية للدولتين، فلم يعد بإمكانهما أن يقيما الجيوش النظامية الكبيرة العدد[3]، ذات التجهيز القادر على إخضاع تلك القبائل، والمناطق المتمردة[4].

كما ساهمت القوى الدينية من رجال الدين والمرابطين والمتصوفة لدى عامة الناس وخاصتهم في تزايد ضعفهما وعجزهما في المحافظة على الأمن والاستقرار في البلاد من الناحية، ومواجهة الخطر الخارجي من جهة أخرى، فتوجه كبار المرابطين والمتصوفة إلى انتقادهما وتأليب الرأي العام عليهما كأحمد بن

1- « فرع من بني مهلهل، أنشأوا إمارة في شابة قرب القيروان، ثم مدوا نفوذهم حتى أطراف تونس وشرقي قسنطينة». عن، **عمار بن خروف**، المرجع السابق، ص،37.

2- **صالح عباد**، المرجع السابق، ص 16.

3- **عمار بن خروف**، المرجع السابق، ص15.

4- **جون ب. وولف**، الجزائر وأوروبا 1500-1830، تر أبو القاسم سعد الله، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص25.

يوسف المليانى، والشيخ عرفة الشابي، وساهم آخرين في قيام الحكم العثماني في الجزائر، الذي زاد في إضعافهما قبل القضاء عليهما[1].

– التفكك الداخلي:

قد نجم عن الضعف الذي تردت فيه الدولتين الحفصية والزيانية إلى اضطراب الجزائر وتجزئها إلى عدة وحدات سياسية صغيرة متنافسة لا يسود بينهما الوئام[2]، فأغلب المدن الساحلية كوهران، وتنس وشرشال، والجزائر، ودلس، وبجاية، والقل وغيرها كانت مطلع القرن السادس عشر تحت حكم أمير زياني منشق من الدولة الزيانية، كأبي يحي بن محمد الزياني في تنس أو الدولة الحفصية، كعبد الرحمن الحفصي في بجاية أو تحت حكم مجلس منتخب من سكان المدينة كوهران[3]، أو شيخ قبيلة كسالم التومي، شيخ قبيلة الثعالبة في مدينة الجزائر[4].

كما تأسست إمارات ذات أصل مرابطي أو شريفي في المناطق الجبلية مكونة دولة مستقلة، من أهمها إمارة بني عباس في جبال القبائل، جنوب بجاية التي كان أميرها عبد العزيز[5]، وإمارة كوكو الواقعة غرب الإمارة الأولى وكان يرأسها أحمد ابن القاضي[6].

1– **عمار بن خروف**، المرجع السابق،ص15.

2- **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص62.

3- **عمار بن خروف**، المرجع السابق، ص16.

4- **عبد القادر حليمي**، المرجع السابق، ص ص203-204.

5- **شارل أندري جوليان**، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى 1830، تع محمد مزالي والبشير ابن سلامة، ج2، دار التونسية، تونس، 198، ص 222.

6- «ينحدر من عائلة أبي العباس الغبريني العالم بعلوم الشريعة و الفقه في القرن 13،كان يعمل قاضيا لدى آخر سلاطين بجاية، منحه خيرالدين لقب الخليفة بعد تحالفه معه ومع أخيه عروج، وكان مقره في قرية بني يحي» .عن **كورين شوفالييه**، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، تر جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر، 2007، ص26-27.

واستقلت المدن الداخلية تحت حكم بعض الأسر كبني جلاب في توغرت، وعلاهم في ورقلة جنوبي الجزائر[1].وسادت القبائل على المناطق السهلية كبني عامر في القطاع الوهراني، وذواودة في القطاع القسنطيني[2].

2-الوضع الاقتصادي:

كانت مبادلات تجارية نشيطة بين الجزائر وأوروبا وبصفة خاصة مع شبه الجزيرة الإيبيرية والمدن الإيطالية، لكن توقفت مع مطلع القرن العاشر هجري (16م) نتيجة سيطرة الإسبان على السواحل الجزائرية ثم سيطرة الأتراك على الجزائر[3].

إن الزراعة كانت تشكل النشاط الاقتصادي الرئيسي للسكان، أصبحت تعاني من اضطراب وعدم الاستقرار ناجمين عن التجزؤ والتفكك الذي آلت إليه الجزائر، والنزاع الذي كان قائما بين الوحدات السياسية الصغيرة، التي قامت هنا وهناك، والغزو الإسباني للسواحل والغارات التي كانت تستهدف أقاليم المدن، والموانئ التي وقت تحت الاحتلال الإسباني، أدى كل ذلك إلى تقلص المساحات المرزوعة ولهجرة الفلاحين أراضيهم الغير الآمنة إلى أماكن الأكثر أمانا، واكتفائهم بزرع مساحات قليلة بسد حاجاتهم، وتأثرت التجارة الداخلية والخارجية أيضا بالحالة الأمنية، التي اضطربت بين المدن وفي الطرق والأسواق، كما تأثرت بتعرض مراكز التجارة الهامة، ولاسيما مع الخارج إلى الغزو والاحتلال والتهديد، هاجر تجارها إلى أماكن أخرى بحثا عن الأمن والاستقرار[4].

1- **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص83.

2- **أحمد بن سحنون الراشدي**، المصدر السابق، ص12.

3 - **صالح عباد**، المرجع السابق، ص 19.

4- **عمار بن خروف**، المرجع السابق، ص 18.

فبمجرد أن احتل الإسبان وهران تجنب البنادقة التعامل معها، كونها أصبحت تشكل خطرا على تجارتهم وفضلوا التحول إلى مدينة هنين، كما كان احتلال بجاية صدمة لتجار جنوة والبندقية باعتبار أن إسبانيا دولة منافسة لهم وتشكل تحديثا تجاريا لمكانتهم التجارية[1].

كما أصيبت الصناعة بالتراجع نتيجة تعرض الكثير من المدن التي كانت تحتضنها للاحتلال كوهران، بجاية، عنابة، مما جعل الكثير من المراكز الحرفية تختفي أو تفقد أهميتها[2].

لابد من الإشارة إلى أن الجزائر استقبلت حتى مطلع القرن السادس عشر ميلادي الكثير من التجار والحرفيين والفلاحين الأندلسيين الذي ساهموا في إعادة إحياء النشاط الاقتصادي بمدينة شرشال بعد ثلاثة قرون من الانحطاط، زرعوا أراضها وقاموا بغرس أشجار كثيرة منها الكروم والزيتون والتوت إلى غير ذلك، وصار الحرير أهم موارده[3].

إلى جانب تنشيطهم لأعمال حربية في البحر[4]، ومن أهم الصناعات التي عرف بها الأندلسيون في مدينة الجزائرية بمختلف أصنافها (الأقمشة، والحرير والمخمل والقطيفة)، كذلك صناعة الحلي (الأساور، الخلاخل، الأقراط والمشرفيات).

1- **صالح عباد**، المرجع السابق، ص 19.

2- **عمار بن خروف**، المرجع السابق، ص 18.

3- **مرمول كربخال**، إفريقيا، ج2، المصدر السابق، ص 356.

4- **شارل أندري جوليان**، المرجع السابق، ص 45.

3-الأوضاع الاجتماعية:

إن الأوضاع الاجتماعية في هذه الفترة كانت سيئة، ومتدهورة نتيجة عدة عوامل أهمها:

التجزؤ الداخلي، والغزو الخارجي، اللذان نجما عنهما اضطراب الأمن والإعدام الاستقرار، وهجرة قسرية كبيرة من المدن التي أصابها الغزو الإسباني، وكانت مهددة به من المناطق المضطربة إلى المناطق الداخلية بحثا عن الأمن والاستقرار. وكانت تلك الهجرة تتم في ظروف صعبة، فقد فيها أولئك المهاجرون منازلهم وأملاكهم.

وهكذا شهدت بعض المدن الداخلية كتلمسان، وقسنطينة وغيرها تضخما سكانيا، كما شهدت بعض المناطق الجبلية الوعرة كجبال المحاذية لبجاية اكتظاظا سكانيا، رغم أنها من المناطق الشحيحة الطاردة للسكان.[1] وتعرض قطاع المدن الذي كان أصلا ضعيفا إلى الغزو والتخريب والتقليص، وفقدان الأهمية، مما زاد في تقليص سكان الحضر المستقرين، وزاد نسبة سكان البدو، والرحل، وبالرغم من استقبال المدن الساحلية على الخصوص وبعض المدن الداخلية عددا كبير من السكان الأندلسيين الذين عززوا نسبة سكان المدن .[2]

ومن يقرأ كتاب الوزان الموسوم بوصف إفريقيا و كتاب إفريقيا المرمول الذي نقل كثيرا عن الأول وزاد عنه بعض المستجدات يدرك أن المجتمع الجزائري كان في أغلبه يعيش حياة ريفية، يعاني حالة البؤس ويظهر ذلك في وصفهم لمأكل الناس وملبسهم ومسكنهم، في المدن والقرى والأرياف[3]، كما كان يعاني

1- **عمار بن خروف**، المرجع السابق، ص18.

2- المرجع نفسه، ص19.

3- المرجع نفسه، ص19.

من انعدام التماسك الشعبي وانسياقهم نحو العصيان والتمرد في وجه الحكومات المتهاوية، وشيوع الخرافات في أوساط السكان مما تسبب في ضعف المقاومة في بعض الأحيان[1].

ومن خلال ما سبق ذكره يمكننا القول أن المغرب الأوسط في القرن العاشر هجري16م، كان يمر بفترة تاريخية حرجة، فعدم الاستقرار السياسي وتراجع الوضع الاقتصادي، أثر سلبا على الحياة الاجتماعية والثقافية للبلاد، في حين كانت أوروبا تعيش نهضة علمية واقتصادية وسياسية وهذا ما أدى إلى اختلال موازين القوى بين الجهتين .

فكان الفرق واضحا من الناحية العسكرية نجد أن إسبانيا كانت تعرف تطور تقني في فنون القتال مقارنة بالجزائر التي ظلت تستعمل وسائل القتال التقليدية، كاستعمالهم الخنجر والسيف والرمح الأحجار والأسهم، كما أنهم لم يعرفوا بناء القلاع وكيفية محاصرتها[2]، وهذا ما جعل إسبانيا تستغل الوضع، وتسعى إلى تنفيذ مشروعها الاستعماري المتمثل في الغزو المناطق الساحلية للبلاد[3].

1- **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص 45.

2- المرجع نفسه، ص ص45-46.

3- **مبارك الميلي**، المرجع السابق، ص181.

الفصل الثاني: ظهور الإخوة بربروس ودورهم في الجزائر

- المبحث الأول: فترة حكم عروج (1512-1518م)
- المبحث الثاني: الحملات الإسبانية (1519-1541م)
- المبحث الثالث: جهود إيالة الجزائر في مواجهة الإسبان

إن الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الجزائر في بداية القرن العاشر هجري (16م) وتفاقم الخطر الإسباني والإيطالي واحتلالهما لموانئ الجزائرية، وفرض الجزية على سكان هذه المدن الساحلية، هي العوامل الرئيسية التي دفعت بالجزائريين أن يستنجدوا بالأخوين عروج وخير الدين، لإنقاذهم من الاحتلال الأوروبي لمدنهم، وذلك بالالتجاء إلى الخلافة العثمانية القادرة على تزويد المحاربين الجزائريين بالذخيرة، والرجال الذين يمكنهم من صد هجمات الأوروبيين[1].

دخل الأتراك مدينة الجزائر في العقد الثاني من القرن السادس عشر، وهي فترة حرجة كان فيها مسلمو الجزائر منقسمين إلى أحزاب وشيع وممالك، وكان الإسبان يستغلون مدى ضعف المسلمين وتفرقهم وتنافسهم، وهذا ما ساهم في زيادة توسعهم، وبفضل تلك المساعدات التي قدمها الإخوة بربروس لمدينة الجزائر، شعر أبنائها بدرجة عالية من الاطمئنان في ظل هذه الدولة القوية، وانطلاقا من هذه الحقائق فإن العثمانيين يعتبرون منقذون وليسوا مستعمِرين[2].

ظروف ظهور الإخوة بربروس:

إسحاق وعروج وخير الدين وإلياس والأبناء الأربعة من أصل تركي بإقليم روميلي، [3] اسمه يوسف يعقوب كان يقطن بجزيرة ميدلي (ميتلان) في الأرخبيل اليوناني [4] كان يحترف في صناعة الفخار وهو من أحد الجند الذين صحبوا لجيش الفتح [5]، كان متزوجا من سيدة أندلسية[6].

1- **عمار بوحوش**، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1977، ص ص 51-52.

2- **أحمد بوشاقور**، تاريخ مدينة الجزائر من العهد القديم إلى 1964، موفم للنشر، الجزائر، 2009، ص 39.

3- **يحيى بوعزيز**، الموجز في تاريخ، ج2، د.م.ج، الجزائر، ط2، 2009، ص9.

4- **عبد القادر حليمي**، المرجع السابق، ص162.

5- **عبد الرحمان الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص34.

6- **عبد القادر حليمي**، المرجع السابق، ص162.

ولد عروج في 1473م و خير الدين في العام الموالي [1] كان خير الدين يبيعان الفخار لأبيهما في الجزائر اليونانية بواسطة بعض المراكب [2]، بحيث كان عروج من هواة الحياة البحرية، فغادر ميدلي مع أخوه إلياس متجهين إلى طرابلس، وفي الطريق تصادفا مع سفن فرسان جزيرة رودس ووقعت معركة كبيرة وسقط إلياس شهيدا، بينما أسر عروج واستولى الكفار على السفن [3].

حاول خير الدين فك أسره ودفع ضريبة قدرت بألف دوقة ذهبية بمساعدة أحد النصارى غير أنه فشل [4]، وبيع عبدا لشخص من جزيرة رودس، وفي هذه الأثناء توجه إلى مصر كمجذف في سفينة تحمل الأسرى المسلمين فاغتنم فرصة حدوث زوبعة بحرية فقفز من المركب و انتهى به المطاف إلى أضاليا بإمارة قرمان تعرف عن أمير قرقود[5] شقيق السلطان سليم، فأكرم مأواه ولما لاحظ عليه سمات البطولة جهز له سفينة في البحر المتوسط الشرقي ضد القراصنة.

ومن هنا سعى إلى تغيير مجرى حياته، وكرس نفسه للجهاد و الغزو ضد القرصنة الأوربية، فنزل هو وأخوه خير الدين وسيطرا على البحر الأبيض المتوسط وأقام دولة في شمال إفريقيا، وبفضل الشجاعة التي تميز بها ضم العديد من الأشخاص وأصبحوا يمثلون قوة[6]، وعملا على ربط صلتهما بالسلطان سليم الأول ودخلا في سلطة الدولة العثمانية فأمدهما الملك بالمراكب والسلاح، وأذن لهما في ارتياد الحوض الغربي للبحر المتوسط لمقاومة أساطيل القراصنة الأوروبيين واعتداءاتهم المتكررة

1- **وليام سبنسر**، الجزائر في عهد رياس البحر، تع عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص38.

2- **يحيى بوعزيز**، الموجز في تاريخ، ج2، المرجع السابق، ص09.

3- **مؤلف مجهول**، مذكرات خير الدين بربروس، تر محمد دراج، شركة الأصالة، الجزائر، ط1، 2010، ص ص 22-23.

4- **عزيز سامح التر**، المرجع السابق، ص29.

5- «الإبن الثاني للسلطان بايزيد الثاني والأخ الأكبر للسلطان الأول، اشتهر بحمايته للبحارين الأتراك قتله السلطان سليم الأول بعد جلوسه على عرش السلطة سنة 1512». عن مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص29.

6- Haedo Fray Diego de, histoire de rois d'alger traduite et annotée par h.d de grammont adolph joudan, paris, 1881,pp42-43

فأخذ حينئذ في التجول بعرض البحر و طوله [1]، فطار صيتهما و ذاع ذكرهما في الأفاق وأصبحا على رأس أسطول ضخم، واشتهر عروج[2] يومئذ بلقب بربروس ثم أخاه بعده ببربروس الثاني، ثم اتصل بالسلطان الحفصي أبي عبد الله محمد السادس ونزلا بمدينة جربا ثم بحلق الوادي [3] واتخذ منه قاعدة لمحاربة المسيحيين وتجنيد المتطوعين من الديار الإسلامية إلى الموانئ الإفريقية لمقاومة الإسبان[4].

1- **عبد الرحمان الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص34.

2- « ورد اسمه في جميع المصادر والمراجع التركية باسم وأروج (أور وتش)، لكن ومعنا للبس وليس إقرار بالخطأ الشائع فقد اتبعنا ما أدرجت عليه بعض المصادر والمراجع العربية». عن مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص20. وأيضا **أحمد توفيق المدني**، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص ص 145-146.

3- «قلعة استمدت اسمها من كونها لسانا بحريا يصل تونس بالبحر، تفصله مرتفعات قرطاج وعرف لدى الأوربيين بلاغوليت goulette وهي كلمة ايطالية محرفة golete من تسمية حلق الوادي العربية شهدت هذه القلعة عدة معارك حاسمة منها استيلاء خير الدين بربروس على مدينة تونس في 1534م وحملة شار لكان 1541م ».عن **ج أو هابنسترايت**، رحلة الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1732م، تر نصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008، ص114.

4- **وليام سبنسر**، المرجع السابق، ص28.

المبحث الأول: فترة حكم عروج من 1512–1518م

1– جهود عروج في مواجهة الإسبان:

في سنة 1504م وصل عروج وأخويه خير الدين وإسحاق إلى غربي البحر الأبيض المتوسط وكانت تحدوه روح الانتقام الشخصي من المسيحيين وقد أعطاه السلطان الحفصي في تونس حكم جربة واتفق معه على تقاسم الغنائم وإعطائه الخمس[1]، واتخذ من ميناء حلق الواد مخبأ أمينا له[2]، ومن تلك القاعدة قام عروج بسلسلة من الحملات، التي تمكن من خلالها من نقل العديد من مضطهدي الأندلس إلى شمال إفريقيا[3]، كما تمكن بفضل هذه الأعمال من اكتساب شهرة واسعة بين الشرق والغرب[4].

وفي سنة 1512م اتجه عروج وإخوته إلى بجاية لاستخلاصها من الإسبان تلبية لنداء أهلها وسلطانها الحفصي أبي بكر، وكان يحمل 12 قطعة بحرية محملة بالمدفعية والذخيرة ألف تركي وبعض الأهالي[5] أما الأسطول الإسباني فكان مكونا من 15 سفينة[6]، ولم ينجح عروج وإخوته من مهمتهم لأن الحصون الإسبانية كانت قوية، وطبيعة المدينة الجغرافية كانت صعبة إضافة إلى ذلك كثافة عدد القوات الإسبانية المدافعة[7]، وقدر عدد القتلى ب 60 رجل وكان عدد الجرحى كبير وأصيب عروج بقذيفة في ذراعه وأدت تلك الجروح البليغة إلى قطع ذراعه[8].

1– **أحمد فؤاد متولي**، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها من نهاية العصر الذهبي، إيتراك، القاهرة، 2005، ص 20.
2– **يحيى بوعزيز**، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص 249.
3– **وليام سبنسر**، المرجع السابق، ص 38.
4– **أحمد بن أبي ضياف**، أتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس، 1963، ص10.
5– **صالح فركوس**، المرجع السابق، ص 44.
6– **بسام العسلي**، خير الدين بربروس والجهاد، المرجع السابق، ص.87
7– **يحي بوعزيز**، العلاقات الخارجية مع دول المماليك أوروبا 1500–1830، د.م.ج، الجزائر، 1980، ص 35.
8– مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 52–54.

وبالرغم من إصابة عروج وفشله إلا أنه رأى أن عملية فتح بجاية تحتاج إلى خطة محكمة، كما رأى أن أحسن قاعدة له هي مدينة جيجل[1]، التي كان يحتلها الجنوبيين ويمارسون فيها صيد المرجان[2] فشن عليها حملة وتمكن منها، وانتزعها من الجنوبيين عام 920هـ/1514م [3] وأسر منها 100 جندي جنوي [4]، واتخذوا منها مركزا لأسطولهم البحري بدلا من جربة[5]وتخلو من ضغوطات الأمير الحفصي[6] هنا يبدوا السلطات الحفصي تخوف من الإخوة بربروس ورفض لهم السماح بالبقاء في مينائه، كما رفض تزويدهم بالبارود وهذا بعد أن أصبحت أسماءهم منتشرة في جميع البحر الأبيض المتوسط[7].

لقد أرسل الأخوان إلى السلطان سليم الأول مجموعة من النفائس التي استولوا عليها بعد فتح مدينة جيجل، فقبلها السلطان ورد لهما المدينة بإرسال أربعة عشر سفينة حربية مجهزة بالعتاد والجنود[8].

وفي سنة 1515م حاول عروج من جديد تحرير بجاية بمساعدة القبائل الجبلية، وتمكن من الاستلاء على أحد القلعتين التي بناها الإسبان وحاصر بجاية والقلعة الثانية، لكن لم يوفق في تحريرها لأن تلك القبائل انصرفت بدون استئذانه لزرع الحقول، وتبعها عدد كبير من الجنود الاتراك فاضطر عروج إلى الفرار وإحراق 12 سفينة ضخمة كانت راسية في النهر ثم انسحب إلى جيجل[9].

1- «سقطت منطقة جيجل في أيدي الجنوبيين عام 1260 وأصبحت مركزا للتبادل التجاري واحتلها أندري دوريا أثناء قيادته للأسطول الفرنسي وتمكن عرج من فتحها عام 1514، وأصبحت أول قاعدة للعمل البحري واستقر بها.». عن **صالح حيمر**، المرجع السابق، ص42.

2- **يحي بوعزيز**، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص 149.

3- **أحمد توفيق المدني**، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 23

4- **عزيز سامح التر**، المرجع السابق، ص49.

5- **عمار عمورة**، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ص 64.

6- **يحيى بوعزيز**، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص 149.

7- **محمد سي يوسف**، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار الأمل، الجزائر، 2009، ص42.

8- **عيسى لحسن**، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر، الأردن، ط2، 2011 ، ص 510.

9- **حسن الوزان**، المصدر السابق، ص 38-39.

2- بوادر ميلاد إيالة الجزائر:

بعد وفاة الملك الكاثوليكي فيرديناند في جانفي 1516م، أراد أهل الجزائر أن يفسخوا الهدنة ويتخلصوا من الضرائب التي كانوا يؤدونها لإسبانيا فأرسلوا إلى بربروس أن يكون قائدا لهم[1].

نجد أن سالم التومي عارض في البداية الاستنجاد لأنه كان يعرف أن ذلك يعني نهاية حكمه إلا أنه أضطر إلى القبول في نهاية الأمر تحت ضغط الرأي العام تم استدعاؤهم عن طريق وفد مبعوث إليهم للقدوم إلى مدينة الجزائر ليحررهم من قلعة البنيون[2]، لبى عروج النداء ووصل إلى مدينة الجزائر أواسط سنة 1516م عن طريق البحر حاملا معه سفينتين تحملان 100 تركي وهي أول شحنة تركية تدخل الجزائر كما طلب من أخيه خير الدين أن يلتحق به بمدينة الجزائر وقد زوده هذا الأخير ب 280 تركيا ومعدات حربية حديثة وسفن أخرى تحت قيادة أخيهما إسحاق، كما تلقى عروج الدعم من ابن القاضي المدعو بقطوش شيخ كوكو بالقبائل الكبرى[3].

وقبل أن يتوجه عروج إلى مدينة الجزائر توجه أولا إلى مدينة شرشال عن طريق البر واحتلها سنة 922هـ- 1516م،[4]وتخلص من منافسه قارة حسن[5] الذي كان يشتغل مثله بالجهاد البحري، فقتل ونصب حامية على البلدة ثم دخل مدينة الجزائر[6] ومعه 800 جندي تركي إلى مدينة الجزائر .

---

1 -**Ernest mercier**, histoire de l'afrique sepetent rionale depuis les plus reculés , t 3, Ernest leroux éditeur,Paris 1868, p20

2- **عمار عمورة**، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع سابق، ص 46.

3- **عبد القادر حليمي**، المرجع السابق، ص164.

4 -Haedo, op cit, p55.

5- **نصر الدين سعيدوني**، دراسات أندلسية ومظاهر التأثير الإيبري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 2003، ص 48.

6- **عمار عمورة**، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ص 48.

بدأ عروج يرفع الحصون وحفر الخنادق وتركيب المدافع وأخذ يقنبل الحصن والصخرة في 12 أوت 1518م وشدد الحصار على الحصن وقطع عنه المياه، فاضطر قائد الحصن إلى الذهاب إلى جزيرة مايوركا وقطع مسافة تزيد عن 200 كلم لتزويد حميته بالماء والمؤن، لكن المؤن كانت قليلة وازداد الجوع والعطش بحوالي المائتين من الإسبان الذين كانوا من حراس حصن الصخرة[1].

وكاد عروج يقضي على الحصن لولا الفتن والدسائس التي حبكها سالم التومي مع أتباعه بحيث دبر هذا الأخير مؤامرة ضد الأتراك وحاول الانقلاب عن عروج، لكن عروج تفطن لهذه المؤامرة وقضى عليها في المهد[2]، وقتل سالم التومي بيده، داخل حمام منزله وأعلن نفسه سلطان على مدينة الجزائر[3] وفرض إجراءات أمنية مشددة وخيم السكون والصمود على مختلف المناطق ونواحيها[4]، كما أمر بسك العملة وتحصين القصبة ونصب فيها مدفعية صغيرة ووضع عليها حامية تركية.

فتخوف الإسبان كثيرا من المد التركي العثماني على المدن والسواحل الجزائرية وحاولوا منذ البداية أن يقضوا عليه ولكن دون جدوى، وفي سبتمبر 1516م قاد دييقو دوفير حملة عسكرية بحرية كبيرة[5] تتألف من 35 مركبا و8000 رجل واتجه إلى مدينة الجزائر ونزل بساحل باب الواد[6]، وتعرض لهزيمة ساحقة غرق له أكثر من نصف المراكب الحملة، وقتل 3000 جندي وأسر 400 و تعاونت قساوة الطبيعة مع بطولة المدافعين الجزائريين[7].

1- **عبد القادر حليمي**، المرجع السابق، ص146.

2- **عمار عمورة**، الموجز في التاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 46.

3- **حسن الوزان**، المصدر السابق، ص 38.

4- **أحمد سحنون الراشدي**، المصدر السابق، ص 17.

5- **يحي بوعزيز**، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 37.

6- **عبد الحميد بن اشنهو**، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972، ص 143.

7- **عبد الرحمان الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، ج 3، المرجع السابق، ص ص 40-41.

وكان من نتائج هذا النصر توسيع رقعة الدولة الجزائرية الناشئة، حيث سارع سكان بليدة والمدية وملیانة[1] وما حولها إلى مبايعة عروج والخضوع له كما اعترفت بسيادته بلاد القبائل وبذلك صار لإمارة الجزائر شأن عظيم[2]، كما قرر عروج اخضاع مدينة تنس نظرا لتواطؤ أميرها الزياني متعاون مع الإسبان فاتجه إليها على رأس قوة كبيرة 1000 تركي وفرقة من المجاهدين واقتحمها في شهر جوان 1817 واستولى عليها وقتل أميرها وطرد الإسبان منها[3]، وقسم المملكة الجديدة إداريا إلى مقاطعتين مقاطعة شرقية يشرف عليها خير الدين ومقرها الإداري مدينة دلس، [4]ومقاطعة غربية يشرف عليها عروج بنفسه مقرها الإداري مدينة الجزائر العاصمة[5].

3- استنجاد أهل تلمسان واستشهاد عروج:

لم يكد المقام يستقر بعروج في مدينة تنس، حيث نظم البلاد حسب الحاجة وحسب الامكانيات[6]، حتى جاءه وفد من أعيان تلمسان يشكو له اضطراب الأحوال السياسية في مدينتهم بسبب نزاع الأمراء الزيانيين[7]، فبايعوه سلطانا عليهم، فاستجاب عروج لطلبهم، فرح كثيرا لإعلانهم الدخول تحت ولايته دون قتال[8].

1- **عثمان سعدي**، الجزائر في التاريخ ، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص 372.

2- **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 187.

3- **خير الدين بربروس**، المصدر السابق، ص 24.

4- **عبد الجليل التميمي**، «أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519م » م.ت.غ، العدد6، تونس 1976، ص117.

5- **أحمد توفيق المدني**، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص186.

6- المرجع نفسه، ص187.

7- **أبو راس الناصري**، عجائب الأسفار ولطائف لأخبار، تح محمد غالم، ج2، منشورات AGP، 2008، ص25.

8- مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص86.

فاتجه عروج إلى تلمسان وهو يقود قواته عبر الهضاب الداخلية بهدف تجنب الاصطدام بالحاميات الإسبانية المنشرة على محيط وهران وعندما وصل إلى هوارة قلعة بني راشد[1]، اتخذ منها قاعدة لحماية خطوط مواصلاته نظرا لما كان يتوفر لها من المميزات الدفاعية ونظرا لموقعها المناسب، ووضع في القلعة حامية تضم 600 مقاتل بقيادة اسحاق وأمرهم بالتضييق على الإسبان في وهران، وعرقلة أعمالهم وتحركاتهم العسكرية حتى لا يعيقوا سيره نحو تلمسان[2].

دخل عروج تلمسان بسهولة والتقى مع أبو حمو الثالث وهزمه وأعاد أميرها الشرعي أبا زيان [3] إلى عرشه وكان هذا الأخير بالتبعية للسلطة الجديدة، غير أفراد الأسرة الزيانية استغلوا عروج إلى الناحية الغربية، فنبذوا الطاعة وأعلنوا العصيان فأمر عروج بقتل أبي زيان وأنصاره، يقول أبوا راس الناصري أنه قتل سبعة من المترشحين للملك من بني زيان و نحو ستين من بني عمهم أولاد عبد الواد وأكثر من ألف من أهل البلد[4].

أما الأمير أبو حموا[5] فقد فر إلى المدينة فاس، ومنها إلى مدينة وهران يطلب النجدة من حاكمها العام[6]، فأمده بجيش قواته عشر آلاف رجل مع العتاد وهكذا توجه أبو حو الثالث على رأس قوة من

1- « بنيت على جبل البربر فوق راية عمودية يبلغ ارتفاعها 814متر، وهي تقع على طريق مستغانم وهنين ومعسكر والمسافة بينها وبين هنين نصف ساعة وتبعد مسافة 25كلم وعن معسكر ومستغانم نحو51كلم» عن **سامح التر**، المرجع السابق، ص61.وأيضا مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص102.

2- **بسام العسلي**، خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص.102

3- «هو السلطان أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله تنصب على ملك تلمسان سنة923هـ/1502م».عن **عبد الرحمان الجيلالي** تاريخ الجزائر العام، ج2، المرجع السابق، ص223.

4- **أبو راس الناصري**، المصدر السابق، ص334.

5- «هو أبو حمو موسى الثالث الملقب بأبي قلمون بن محمد الرابع انتصب قهرا على عرش تلمسان سنة 909هـ/1503م، فعزل ابن أخيه محمد السابع وباشر حكم البلاد وكانت يومئذ في اضطراب وحبل حكومتها في انحلال والضعف والتمزق وتشتيت ». عن **عبد الرحمان الجيلالي**، تاريخ الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص276.

6- **بن عودة آغا المزاري**، المصدر السابق، ص150.

الأعراب ومعه الجيش الإسباني، فداهموا قلعة بني راشد واحتلوها وقتلوا الحامية التركية الموجودة هناك وقتل اسحاق في جانفي 1518م[1]، وواصل الإسبان سيرهم نحو تلمسان وفرضوا عليها حصارا لمدة ستة أشهر[2]، واستطاع الإسبان فتح ثغرة في السور بالمدفعية وتحولت المقاومة إلى حرب، وانسحب عروج إلى القلعة المشور منتظرا النجدة من السلطان المريني التي لم تصل، وقاوم عروج مع جنوده الأتراك الخمسمائة عازمين على الاستشهاد بدل الاستسلام [3].

وتمكن عروج مع عشر من رجاله مغادرة القلعة عنوة وفتح طريق نحو البحر، لكن الإسبان تفطنوا لخروجه وحاصرته فرقة من الإسبان في زاوية سيدي موسى في منطقة المويلح[4]، وقاوم عروج إلى أن استشهد مع رجاله الذين كانوا معه استشهد وعمره44 سنة [5]، وفصل رأسه عن جسده إذ أخذه الإسبان كتذكار نصر وعرضوه بالموقع العسكري بوهران[6].

وهكذا استشهد هذا المجاهد العظيم والسيف في يده يقاتل بيد واحدة، مدافعا عن الإسلام في مواجهة الصليبية الإسبانية والسلاطين الزيانيين العملاء كما يقول شارل أندري جوليان استطاع أن يضع أسس لدولة إسلامية قوية وسط محيط من المنافسات القبلية والإمارات المغربية، دون أن تتمكن أوروبا من النيل منها[7].

1- **أحمد توفيق المدني**، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 188.

2- **أحمد فؤاد متولي**، المرجع السابق، ص 203.

3- **عثمان السعدي**، المرجع السابق، ص 375.

4- «هناك اختلاف في الروايات حول مقتل عروج، هناك من يقصد بالمويلح الواقعة قرب الحدود المغربية، بينما تذكر رواية أخرى أن المويلح الواقعة بين وهران وعين تيموشنت ».عن **صالح عباد**، المرجع السابق، ص48.

5- **شارل أندي جوليان**، المرجع السابق، ص 328.

6- **يوسف بنو جيت**، المرجع السابق، ص 121.

7- **عثمان السعدي**، المرجع السابق، ص 375.

المبحث الثاني: الحملات الإسبانية من 1516 إلى 1541م

1-حملة هوغو دو مونكاد 1519م:

لما بلغ ملك إسبانيا خبر انتصار جيشه في تلمسان وقتل عروج ومن معه طمح في الاستلاء على الجزائر وجهز أساطيله وشحنها بالجيوش والذخائر وسيرها إلى مدينة الجزائر[1] تحت قيادة هوغو دومونكاد (Hugo de moncade) نائب ملك صقلية[2] واشترك معه في القيادة كنائب له القائد الإسباني كونز ألفو مارينو دي ريبرا(gonz alvomarino de ribera)

أبحر الأسطول من جزيرة صقلية أواخر جويلية وأرسى أول مرة بمدينة المرسى الكبير وأخذ منها جندا وعتادا ثم سار من بعيد صوب بجاية وأخذ منها جيش كبير وسلاحا ووصل مدينة الجزائر 17 أوت 1519م[3] وكانت الحملة العسكرية تتكون من خمسة ألاف ونزلوا بواد الحراش[4].

لمح خير الدين قوارب الإسبان وهي تقترب وقد اكتشفها في منصف النهار عند الساعة الرابعة مساءا، ورست بقرب من الشاطئ فكان هذا الأخير مستعدا للقتال[5]، وقد أرسل قائد الحملة رسالة لخير الدين يهدده ويذكره لما وقع لأخير ويدعوه لتسليم البلاد فأجابه خير الدين بالحرب قائلا السيف هو الذي يحكم بيننا والذي ينتصر فينا يكون جديرا بحكم هذه المدينة[6].

1- **أبو عبد الله الأعرج سليماني**، تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبد القادر، تح حساني مختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، د .ت، ص 189.

2- **عبد الرحمان الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص 43.

3- **أحمد توفيق المدني**، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 206.

4- **يحي بوعزيز**، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص7

5- **كورين شوفالييه**، المرجع السابق، ص 39.

6- **أبو عبد الله الأعرج سليماني**، المرجع السابق، ص 198.

وخلال نزول الجيوش الإسبانية بواد الحراش انقسموا إلى قسمين الأول يهاجم المدينة من الغرب من منطقة كدية الصابون (koudiiat Esabone) والآخر من جهة الجنوب بينما اصطفت القوارب الحربية في صف واحد أمام المدينة وأصبحت مدينة الجزائر محاصرة من البر والبحر ولحسن حظ المدينة فإن القائدين الإسبانيين مونكاد وغوفير دو ريبريا ولم يتفاهما فيما بينهما، فالأول يريد الهجوم مباشرة، أما الثاني فقد فضل الانتظار لوصول جيش تلمسان وقد دام هذا الخلاف بين القادة الإسبان مدة ستة أيام[1].

وقد أرهقت المناوشات أعصاب الجيش الإسباني ولم يظهر أثر جيش تلمسان فقررت القيادة الإسبانية القيام بهجوم عام[2]، وخلال يومين من بداية المعركة ظهر العياء والإنهاك على القوات الإسبانية فبدأوا بالتراجع والانسحاب، وفي اليوم الثاني شكل خير فرقة من 500 شخص كلفها بحرق أرزاق الإسبان على الساحل، خدع الإسبان بالفرقة التي شكلها خير الدين فأعدوا قوة لمهاجمتها تاركين مواقعهم الدفاعية[3] التي استغلها خير الدين وجيوشه فهاجموهم واستمرت المعركة مدة ثمانية أيام، وأثناء هذه العملية أخذت أمواج البحر ترتفع واشتد هيجان المياه، مما جعل وصول المسيحين إلى سفنهم أمرا مستحيلا[4].

ونقل خير الدين بعض المدافع الكبيرة ودك مخيمهم خلال 48 ساعة[5] فقتل ثلاثة ألاف رجل وأسر عدد آخر[6]، وكان عدد الأسرى ما يزيد عن ثلاثة ألاف وكان يوم النصر في 24 أوت 1519م.

1- **كورين شوفالييه**، المرجع السابق، ص 40.

2- **أحمد توفيق المدني**، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 207.

3- **عزيز سامح آلتر**، المرجع السابق، ص 77.

4- **أحمد توفيق المدني**، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 208.

5- **كورين شوفالييه**، المرجع السابق، ص 40.

6- **يحي بوعزيز**، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 08.

ولكن المأساة الإسبانية لم تنتهي إلى هذا الحد بل تعدتها كارثة الرياح المعاكسة وقد أرجعت إلى الساحل 26 سفينة بعد أن استطاعت الإبحار في عرض البحر وغنمها المسلمون وتم نصر الله المبين[1].

ويرجع المؤرخون الفرنسيون مثل جون ب وولف سبب انهزام الإسبان إلى عاملين هما سوء التسيير والتأخير في الهجوم إضافة إلى عدم استغلال فرصة وفاة عروج وسوء الأحوال المناخية.

2- حملة أندري دوريا (Andrea Doria) 1531م:

أدى انهيار قلعة البنيون وهدمها وطرد الإسبان منها إلى إثارة موجة من الغضب والهيجان في مختلف المناطق الإسبانية، وخاصة سكان السواحل، الذين أرسلوا عدة شكاوى للسلطات الإسبانية يطلبون منها تخليهم مما هم فيه من رعب تحت تهديد الأتراك[2]، وقرر شارل لكان توجيه حملة إلى الجزائر وأسند قيادتها[3] إلى أندري دوريا "Andrea Doria"[4]، فجهز هذ الأخير أسطوله وجنوده، وقرر اتخاذ شرشال نقطة لإنزال قواته، مستغلا بذلك غياب خير الدين في هذه الفترة[5].

وكانت مدينة شرشال محصنة من طرف عروج [6] بحيث أقام بها قلعة، واتخذت منها الدولة الجزائرية مصنعا لعتاد الجيش الإسلامي ومؤنه ومعملا لصناعة الأخشاب -الكارستية- كما أستغل موقعها

1- **جون ب وولف**، المرجع السابق، ص 33.

2- **عزيز سامح التر**، المرجع السابق، ص 93.

3- **Haedo, op cit, p52.**

4- «ولد بأنقونيا سنة (1466م)، وهو بحارة جنوي مرتزق يملك أسطول من سفن الحرب المعدة لخدمة الحكام الذين يقدمون المال والنفوذ، دخل في خدمة الملك الفرنسي فرانسوا الأول ، ثم اضم إلى شارل الخامس، وكان هذا الأخير يدعوه الأميرprince بالحيث كان يعتمد عليه ويضع الثقة فيه، وقد استمرت عائلة دوريا في خدمة ملوك إسبانيا خلال القرن 16 توفي (1560م) ».عن **جون ب وولف**، المرجع السابق، ص41، وأيضا **عبد الحميد بن آشنهو**، دخول الأتراك، المرجع السابق، ص ص158-159.

5- المرجع نفسه، ص 158.

6- **عزيز سامح التر**، المرجع السابق، ص 94.

الاستراتيجي وقربه من جزر البليار وموقعها الطبيعي بين مدينتي الجزائر ووهران[1]، وقد استمر الإعداد للحملة قرابة سنة، وفي شهر جويلية سنة 1531م، انطلق "أندري دوريا" من جنوة باتجاه شرشال على رأس 20 سفينة جيدة التسليح والتي كانت تحمل 1500 شخص[2].

ولما وصل الأسطول الإسباني مدينة شرشال، تشاور سكان المدينة واضطروا إلى إخلائها، فيما اضطرت الحامية إلى انتماء وراء أسوار القلعة، والدفاع عنها ريثما تصل المؤن والمساعدات من الجزائر ومن داخل البلاد[3].

تمكن أندري دوريا من إحراق سفن الأتراك وإنزال عساكره[4] الذين اقتحموا المدينة وأحدثوا فيها تخريبا ونكرا، وحرروا ثمانمائة من السجناء المسيحيين الذين كانوا يقومون بالأشغال الشاقة، وتوزع الجنود المهاجمون على دور المدينة ينهبونها منشغلين بجمع الغنائم.[5]

وكان الجنود المسلمون المعتصمون بالقلعة يراقبون تحركات العدو وينتظرون الفرصة المناسبة[6] وعندما لاحظوا تلك الفوضى التي آل إليها الجيش الإسباني، انقضوا عليه ومعهم المهاجرون الأندلسيين[7] الذين كانوا ينتظرون الساعة الواحدة للانتقام من الإسبان[8]، وبدأت مدفعية القلعة تقذف سفن الأسطول

1- **أحمد توفيق المدني**، حرب 300سنة، المرجع السابق، ص222.

2- **صالح عباد**، المرجع السابق، ص53

3- **أحمد توفيق المدني**، حرب 300سنة، المرجع السابق، ص 223.

4- **مرمول كربخال**، إفريقيا، ج 02، المرجع السابق، ص357.

5 - **Haedo**, **op cit**, **p53**.

6- **مرمول كربخال**، إفريقيا، ج 02، المرجع السابق، ص 357.

7- **جون ب وولف**، المرجع السابق، ص47.

8- **عزيز سامح التر**، المرجع السابق، ص 95.

الإسباني، وما انتهى اليوم حتى كانت الجثث الإسبانية تصل إلى ألف وأربعمائة قتيل بينما كان عدد الأسرى يبلغ الستمائة أما عدد الناجين قدر بثلاثمائة رجل[1].

ولما رأى أندري دوريا ما أصاب جنوده من اضطراب وتقهقر قرر الانسحاب ،[2]وبعد ساعات من انتهاء المعركة، وصل خير الدين بأسطوله وقرر الالتحاق بالعدو، وتمكن من الاستلاء على سفينتين محملتين بالأسلحة والمؤن التابعين لأسطول دوريا[3].

لقد كان لهذا النصر الجزائري نتائج داخلية وخارجية نوجزها فيما يلي:

– على المستوى الداخلي: ازداد الشعب الجزائري إيمانا بقوة هذه الدولة التي أقامها بإرادته، وازدادت هيبة الدولة وقوى نفوذها وامتد سلطانها وهذا بفضل تضامن الشعب مع السلطة الحاكمة[4].

– على المستوى الخارجي: انكسار حملة أندري دوريا في شرشال واضطراره للفرار أمام أسطول خير الدين رجة عنيفة هزت الدوائر المسيحية وجعلتها تفكر في تجهيز حملة للقضاء على القوى الناشئة الرهيبة كما هز النصر الإسلامي دوائر إسطنبول، وجعلها تفكر في منح خير الدين البطل فرصة أكبر وأوسع للاستثمار خبرته وتمكينه من دحر أعداء الدولة وأعداء الإسلام بصفة أعم وأشمل[5].

1- **أحمد توفيق المدني**، حرب 300سنة، المرجع السابق، ص 224.

2- **مرمول كربخال، إفريقيا**، ج 02، المرجع السابق، ص 357.

3- **أحمد توفيق المدني**، حرب 300سنة، المرجع السابق، ص 223.

4- المرجع نفسه، ص 225.

5 -المرجع نفسه، ص 225.

3- حملة شارل لكان 1541م

لم تتوقف إسبانيا في محاولتها في الحرب ضد الجزائر فقد قادت سنة 1541محملت تعتبر من أشهر الحملات الإسبانية على المدينة لعل ذلك يعود إلى تزعمها من قبل شارل لكان[1] نفسه، الذي كان يرى في العلاقات الوثيقة بين الدولة العثمانية وفرنسا خطرا عليه وعلى سياسته في أوروبا وإفريقيا، فقرر أن يغزوا الجزائر ويخضعها لسيطرته ،و يقضي على الوجود التركي بها كخطوة أولى لضرب الدولتين معا، فأعد في ما هون بلبليار حملة بحرية ضخمة[2] اشترك فيها قراصنة إيطاليا وصقلية وفرسان مالطا وفردينا ند كورتيز fernand coter، وأبنائه فاتح المكسيك ،وأسندت قيادتها العسكرية للقرصان الجنوي اندري دوريا[3] والتي تألفت من 24000 جندي و 12000 بحار 2000 حصان و 65 قاليرا و 450 مركب للشحن [4](**أنظر الملحق رقم 03**).

خرج شارل لكان في 18 أكتوبر ووصل أمام ساحل الجزائر وقام باستعراض قواته بقصد ارعاب وهز معنويات سكانها وإضعاف معنوياتها بالمقاومة ،لكن السفن فشلت في انزال القوات البرية خلال الفترة ما بين 20 -23 أكتوبر بسبب هياج البحر نتيجة عاصفة فاضطر إلى التجاء إلى رأس ما تيفو

1- «تولى عرش إسبانيا ومستعمراتها سنة1516م ، باسم شارل الأول ثم آل إليه عرش الإمبراطورية الجرمانية المقدسة 28جوان 1516م، وبعد وفاة جده ماكسيمليان لقب بشارل الخامس أو شارلكان، عرف بإرادته الصليبية فتصدى لحركة الإصلاح الديني واجه ضغط سليمان القانوني بوسط أوروبا وهجمات خيرالدين بربروس بالبحر المتوسط، فحاول الرد عليها بعدة هجمات من بينها حملته على الجزائر سنة 1541م وآثر أن يعتزل الحكم سنة 1556م فعاش حياة العزلة حتى وافته المنية سنة 1558م». **عن عثمان عكاك**، الموجز التاريخ العام الجزائر(من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1،د.ت ص277.

2- **يحي بوعزيز**، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص45.

3- **يحي بوعزيز**، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات، ص85. .

4- **Ernest mercier**, op cit , p50.

وهناك خيم مؤقتا ،ثم عاد نحو ضفة واد الحراش اليسرى[1]، وبدأ بإنزال جنده إلى البر وفي 23 أكتوبر عند مطلع الفجر نزل الإمبراطور إلى اليابسة محاطا بالأشراف والنبلاء ورجال حاشيته ،فجعل المركز العام لأركانه عند الحامة شرقي مدينة الجزائر[2].

معتقدا أن الباي لا رباي حسن آغا سيسرع لتسليم المدينة دون قتال ،بعد أن يشاهد قواته الكبيرة وخاصة أنه اتفق مع الكونت الكوديت حاكم وهران الإسباني على فعل ذلك، غير أن حسن آغا حصن المدينة ودعم دفاعه وجند المزيد من المقاتلين[3]، لم تتمكن القوات الإسبانية من تحقيق أي تقدم يذكر نتيجة مقاومة حامية المدينة بقيادة حسن آغا التي أذهلت شارل لكان على الشجاعة التي اتصفت بها المدافعين مما جعله يصدر أوامر بإيقاف القتال لأخذ قسط من الراحة، على أن يواصل الهجوم في اليوم الموالي، أعطى توقف القتال فرصة موالية لأن يتخذ حسن آغا التدابير لمواجهة الخطر المحيط به، فقرر إرسال جواسيس تمكنوا من التوغل بين صفوف القوات الغازية وجمع المعلومات عن أحوالها والظروف التي تحيط بها[4]، بعد أن ارتدوا ملابس فرسان إسبانيا، وعلى العلم أنهم يجيدون التحدث بالإسبانية بل كان منهم من أمضى عشرة سنوات أسير يجذف السفن الإسبانية[5].

وتبين من خلال المعلومات أن أهمية أخذ زمام المبادرة ومباغتة العدو قبل حلول الصباح وبالفعل بحلول الظلام شن الجزائريون هجوم على مقر قيادة الجيش بقيادة حسن آغا رفقة 600 انكشاري

1- **علي العبيدي**، «الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر1541م أثرها على توازن القوى في الغرب المتوسط»، العصور، العدد 17 وهران 2010، ص ص 12- 13.

2- المرجع نفسه، ص13.

3-**يحي بوعزيز**، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص13.

4- **علي العبيدي**، المرجع السابق، ص13.

5-مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص209.

و1000 فارس عربي ،مما نتج عنه تشتت الجيش الإسباني بعد أن ألحقت به خسائر فادحة قدرت ب 300 جندي[1].

عندما استيقظ الإمبراطور هلعا مخاطبا قادته مستغربا عن وقوف الجزائريين ندا لهجماته[2]، وجه رسالة لحسن آغا يطلب منه تسليم المدينة يقول فيها:« ملك إسبانيا الذي استولى على تونس وأخرج منها خير الدين بربروس الثاني، وتونس أعظم من الجزائر وخير الدين أعظم منك»، فأجابه حسن آغا «إن إسبانيا غزت الجزائر مدة عروج بربروس الأول مدة وفي مدة خير الدين مدة، لم تتحصل على طائل بل انتهت أموالها وفنيت عساكرها وفي هذه المرة كذلك إن شاء الله»[3].

وعلى إثر هذا الجواب بدأ شارل لكان بالتقدم نحو المدينة على النحو التالي: الجنود الإسبان بقيادة فيرناند غونزاك في المقدمة ،بينما تولى شارل لكان مع أبناء النبلاء والقوات الألمانية في الوسط ،أما المأخرة فقد عهدت إلى كاميل كولونا (c. colona)بقيادة القوات الإيطالية وفرسان مالطا [4].

بدأت القوات الإسبانية تقدمها فواجهها الأهالي وأخذوا يشنون عليها هجمات خاطفة ،لكنها تمكنت من التقدم حتى الساحل المجاور لكدية الصابون التي تمكنت من احتلاله كونه يمثل الموقع الاستراتيجي، أما الأسطول فقد استمر بالتحرك مقابل مدينة الجزائر يراقب تحركات الأهالي، فقد أثارت قوة الجيش ارتباكا وبلبة لدى الجزائريين في حين اقتصر اشتراك الأهالي في القتال مع المهاجرين الأندلسيين ،الذين قدر عددهم 5000 مقاتل[5] و800 من الأتراك وبضعة آلاف من المجاهدين وكان من مقدور

1- **عزيز سامح التر**، المرجع السابق، 158.
2-**كورين شوفالييه**، المرجع السابق، ص144.
3- **عبدالله الأعرج سليماني**، المرجع السابق، ص206.
4- **عزيز سامح التر**، المرجع السابق، ص157.
5- المرجع نفسه، ص157.

ذلك أن احتدم غضب الطبيعة[1]، ففي 24أكتوبر هبت ريحا عاصفة قطعت حبال أجفانهم (الإسبان) فنشروا صواريهم خوفا من الهلاك فتشوش جنرالهم أندري دوريا ،ومن معه[2]،وأصبح الأسطول الذي يحمل السلاح والمدفعية والعتاد في موقف حرج، ولم يكن للإسبان في تلك الليلة خيام يحتمون فيها من وابل المطر، وقضوا الليلة بين الماء والأوحال بعد أن قضوا بين المسيرة ونيران المجاهدين شر نهار، وفقد جنودهم شجاعتهم وأصابهم التعب والجوع حيث اضطروا إلى ذبح خيولهم[3].

فاستغل حسن آغا وجنوده بقيادة الحاج البشير هذه القوى الطبيعية الغير المنتظرة، واستبسلوا في الدفاع أولا ثم الهجوم ثانيا، فاضطر دوريا أن ينسحب ما تبقى من المراكب والجنود على رأس ما تيفوا، وألح على شارل لكان أن يلحقه إلى هناك فرضخ للأمر الواقع وشرع في الانسحاب منذ يوم 25 أكتوبر ولاحقه سكان وقتلوا له المزيد من الجنود فانهارت معنوياته ،وعندما وصل على رأس ما تيفوا عقد مجلس حربيا للنظر في نتائج وعواقب هذه الحملة ،وحاول كل من كورتيز والكوديت أن يخففا عليه وطئ الصدمة، وعرض استعداد لتجديد الكرة مرة أخرى لاحتلال مدينة الجزائر في حين أمر دوريا الجنود التي بقيت بالرحيل إلى بجاية في اليوم الأول من شهر نوفمبر[4]، وكانت خسائر شارل لكان في هذه الحملة،200 مركب وأكثر من 12ألف قتيل وجريح وأسير ،وعند انسحابه إلى إسبانيا اغرقت له العواصف المراكب والجنود، وقام حسن آغا بتشييد قلعة قلاصي[5] في المكان الذي نزل فيه شارل لكان وعرف فيما بعد بقلعة الإمبراطور[6].

1- **عبد الرحمان الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص ص67-68.

2- **بن عودة أغا المزاري**، المصدر السابق، ص224.

3- **أحمد توفيق المدني**، حرب 300سنة، المرجع السابق، ص ص265-271.

4- **يحي بوعزيز**، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص46.

5- « أي قلعة السلطان بالتركية، وهي معروفة أيضا بالبرج الطاووس، أو قلعة الإمبراطور، وهي واقعة على مدينة الجزائر فقد عسكر في مكانه الإمبراطور شار لكان عند حملته على الجزائر أما إنشاءها يعود إلى ما بعد الحملة ، فقد شيدها حسن أغا وطور تحصيناتها حسن فينيزيانو وأدخل عليها تعديلات 1656 وزودها ب 16 مدفع وتدمر ت أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر ، بسبب مخزن البارود الموجود فيها». عن **نورالدين عبد القادر**، المرجع السابق، ص108.وأيضا **ج أو هابنسترايت**، المصدر السابق، ص28.

6- **يحي بوعزيز**، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص46 .

المبحث الثالث: جهود حكام إيالة الجزائر في مواجهة الإسبان

1- تحرير البنيون وتشييد ميناء الجزائر 1529م

قرر خير الدين التخلص من خطر الإسباني القائم أمام مدينة الجزائر فعمل على تحرير قلعة البنيون [1]، التي كانت مصدر أذى للجزائريين منذ تأسيسها سنة 1510م، فقام بتنظيم الجيش وتجهيزه وإعداد مدافع للبارود ذات المعيار الكبير من برونز وبلغ عددها 18 قطعة، كما اشترى شاحنة سفينة جندية مملوءة بالبارود على ضرب قلعة الصخرة في سنة 1529م [2].

وكان قائد القلعة دون مارتن دي فيرغاسDON MARTIN DERGAS وكان معه150 جندي و20 مرأة وعدد من الأطفال وكانت الحامية تعيش ظروف صعبة، بحيث كانت تشكوا من نقص التموين، وحتى الماء وكانت تضطر إلى تزويد به من جزيرة مايوركا الإسبانية[3]، لقد استغل خير الدين هذا الوضع، وقبل أن يشرع في الهجوم على القلعة وجه انذارا إلى من كانوا متحصنين بها دعاهم فيه إلى الكف عن اعتداءاتهم عن مدينة، حيث أسرع قائد الحصن يطلب من الملك إرسال المزيد من لنجدات بسرعة إذ كان يريد الاحتفاظ هذا الموقع الصالح بلاده[4].

وبدأ خير الدين في قصف الحصن في 06 ماي 1529م وقد استمر لمدة خمسة عشر يوما، تمكنت من خلالها مدفعية الجزائرية من هدم أبراج القلعة، وقتل عدد هام من أفراد الحاشية بلغ عددهم حوالي مائتي رجل[5].

---

1 -**ج أو هابنسترايت**، المصدر السابق، ص114.

2- **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص ص61-62.

3-**كورين شوفالييه**، المرجع السابق، ص40.

4 -**عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص62.

5 -**صالح فركوس**، المرجع السابق، ص52.

وفي نفس الوقت أمر خير الدين بتجهيز كل السفن الحربية وشحنها بالرجال والعتاد وأذاع من خلالها جواسيس في كل مكان، أنه سيبحر إلى السواحل الإسبانية من أجل الغزو، وخرجت السفن فعلا من وراء صخور الجزائر واخذت طريقها نحو الشمال ثم عادت إدراجها تحت جنح الظلام واختبأت في مرفأ تامنفوست المقابل للجزائر على الهدف الآخر من الخليج[1] .

وفي ليلة الخميس إلى الجمعة 27 من ماي 1529م، اقتربت سفن الجزائريين من القلعة محاصرتها بعد ما نزل الجزائريون إلى أرض المعقل وداهموا الحصن و تمكنوا منه وقتل 11 تركيا، 35 عربيا وأسر المسلمون من الإسبان الذين كانوا بالحصن 90 جنديا و25 من النساء والأطفال[2]، أما قائد الحملة مارتينو دي فاركاس كان من بين الأسر، قد عذبه الأتراك من أجل أن يدلهم على المخبأ الذي أودع فيه مقدار من المال يساوي 2000 دوقة نحو 48000 دينار جزائري، ثم جعلوه بعد ذلك رئيسا على بقية الأسرى[3].

وبعد هذه الانتصارات أمر خير الدين إنشاء مرسى يوصل الجزر الجزائرية ببعضها البعض[4] (**أنظر الملحق رقم 04**)، وهكذا تم إنشاء مرسى استعمل في إنجاز هذا المشروع العبيد المسيحيين ودام سنين واستعمل في ردم حطام الحصن الإسباني ومواد أخرى جلبها من خراب شقونيا القديمة في تامنفوست، وقد بلغ طول الرصيف 200 متر وعرضه 25 متر وعلوه 04 أمتار[5]،كما باشر في بناء سدود جديدة يفتح المجال أمام توسيع المدينة[6]، وأصبح المرسى مقرا للأسطول الجزائري يحميه من العواصف التي تحملها

1 –**أحمد توفيق المدني**، حرب 300 سنة، المرجع السابق، ص ص215-216.

2 **حكمت ياسين**، المرجع السابق، ص248.

3 – **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص116.

4– **أحمد توفيق المدني**، محمد عثمان باشا، المرجع السابق، ص26.

5 –**حسين مؤنس**، تاريخ المغرب وحضارته(من ما قبل الفتح الاسلامي إلى الغزو الفرنسي)، ج1-2، العصر الحديث، ط1، لبنان، 1998، ص164.

6 –**أحمد سليماني**، المرجع السابق، ص16.

رياح الغرب وهو الذي يعرف اليوم باسم الجفنة[1]، كما تم تسليحه بوضع في البرج فنارا وسفن و بطارية ومدفعية بعدد من الحراس واقع بالبرج ثكنة عسكرية[2].

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الجزائر معقلا قويا للنشاط البحري يثير الرعب في المنطقة البحر الأبيض المتوسط[3].

2- استرجاع تلمسان 1554م:

ظلت الدولة الجزائرية متمسكة ببعض حكام وزعماء تلمسان، متى ما أبدى هؤلاء استعدادا للتعاون معها ضد الإسبان، دون أن تعمل على إزالة الدولة الزيانية، وما زاد الأمور سوءا وتعقيدا، ظهور الدولة السعدية بالمغرب الأقصى ومحاولاتها هي الأخرى التدخل في شؤون تلمسان بغية احتلالها[4].

فأرسل الشريف المهدي 1550 جيشا بقيادة الشريف محمد الخوراني الذي يتألف من 2200 فارس و 10 آلاف من المشاة وبعد حصار دام 9 أشهر قتل خلالها ابن السلطان السعدي وقائد جيشه، حيث تقدم الجيش السعدي نحو الشلف في اتجاه الجزائر لضرب الأتراك بينما الإسبان لا يزالون يحتلون الشواطئ المغربية[5].

لما علم حسان ابن خير الدين وهو في طريقه إلى مستغانم بأن قوات السعديين قد احتلت تلمسان ومستغانم وأنها تتابع تقدمها نحو مدينة الجزائر، التي وصلت إلى مجرى نهر الشلف وعند ذلك تم تشكيل قوة جزائرية تولى قيادتها حسان قرصوا وتوجه بها إلى مجرى نهر الشلف حيث التقى بقوات السعديين

1 -**عثمان السعدي**، المرجع السابق، ص318.

2 -**عزيز سامح التر**، المرجع السابق، ص85.

3-**حكمت ياسين**، المرجع السابق، ص248.

4 -**يحيى بوعزيز**، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه تلمسان، المرجع السابق، ص58.

5 -**عبد العزيز الفيلالي**، المرجع السابق، 79.

درات رحى معركة ضارية انتهت بهزيمة السعديين واستثمر حسان قورصوا النصر بأن وجه قوة سرعة إلى مستغانم تمكن بها من إخراج السعديين وتابعت تقدمها في اتجاه المغرب الأقصى، غير أن الشريف محمد المهدي شكل جيشا يضم 20 ألف مقاتل بمجرد عودته من المعركة وأسند قيادتها إلى ابنه الشريف عبد القادر بمهمة إيقاف تقدم الجزائريين واصطدمت القوتان عند حدود المغرب بجوار قبة سيدي موسى ودارت معركة قاسية خاضها الطرفان بعناد، وانتهت بمصرع قائد الجيش السعدي الشريف عبد القادر وتراجع جيشيه إلى ما وراء نهر ملوية، وتم تنصيب الأمير حسن عبد الله الثاني ملكا عليها، غير أنه كان ضعيفا، فتولى السلطة الفعلية فيها القائد[1] العثماني سفطه وبقي في منصبه إلى أن عزل نهائيا سنة ميوله إلى الإسبان [2]، والحق تلمسان بالجزائر العاصمة مباشر 1554م[3]، وكانت نهاية للدولة الزيانية التي عمرت 3 قرون و 18 عاما[4].

3- تحرير بجاية من الاحتلال الإسباني سنة 1555م:

واصل صالح رايس سياسته القائمة على توحيد البلاد الجزائرية، وتطهيرها من الوجود الإسباني فبعد تأمينه للمناطق الغربية للبلاد حول أنضاره إلى الجهة الشرقية فكانت وجهته هذه المرة مدينة بجاية، التي وقعت في قبضة الاحتلال الإسباني منذ سنة 1510م، لذلك قرر صالح رايس طرد الإسبان منها مستغلا ضعف حاميتها، حيث ذكرت بعض المصادر الأوربية أنه لم يكن بالمدينة سوى خمسمائة رجل ضعيفي التسلح، كما كانت التحصينات التي أمر شار لكان ببنائها خلال توقفه بها بعد هزيمته الساحقة أمام مدينة الجزائر سنة 1541م، والتي كلف بترميمها المهندس الإيطالي ليبرانو **Librano** فقد بقيت في

1- **بسام العسلي**، الجزائر والحملات الصليبية، المرجع السابق، ص62.

2- **عبد الرحمان الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص82.

3- **حكمت ياسين**، المرجع السابق، ص252.

4- **يحيى بوعزيز**، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص91.

حالة سيئة،[1] وفي جوان 1555 توجه صالح رايس إلى بجاية على رأس جيش قوامه 30 ألف مقاتل عزهم عن طريق متطوعين من زاووه من إمارة كوكو وتوجه الأسطول من الجزائر، وشاهدوه صيادون إيطاليون فأخبروا الإسبان، نصب الأسطول مدافعه وراح يطلق قذائفه على القلعة، وتهاطلت الأمطار وارتفع منسوب مياه وادي الصومام، الأمر الذي ساعد السفن الجزائرية أن تجتاز مصبه[2]، إلى ما خلف المدينة على مسافة خمسة كيلومترات، واغتنم صالح رايس هذه الفرصة وأدخل السفن من مجرى الوادي إلى أن استقر خلف القلاع فأنزل مدفعيته وآلات حربية ونصبها على المدينة بعناية وإحكام، أمام الجيش الإسباني فقد استعد لحصار طويل وخرج من أسوار المدينة قبل الحصار الإسلامي وأغار على الدواوير والقرى القريبة من المدينة ونهبها[3].

في 16 سبتمبر بدأ الطرفان يتبادلان إطلاق المدافع وتمكنت المدفعية الجزائرية بعد يومين من القصف تدمر الحصن القصر الإمبراطوري، وردموا الخنادق، وأمام هذه الوضعية توسل القائد إلى الأميرة جان أن تأمر بإرسال الإغاثة الضرورية من إسبانيا بأقصى سرعة، واضطرت الحامية الإسبانية الموجودة بالحصن للاستسلام وكان عدد الرجال الموجودون بالحصن 150 رجل[4]، ثم هاجم المسلمون حصن باب البحر الذي سقط بعد خمسة أيام [5]، بعد أن اكتشف المجاهدون مخزن البارود فوجهوا له بنادقهم ومدافعهم وانفجر هذا الأخير[6]، وتهاوت جدران الحصن فهاجمه المجاهدون بعنف وشدة واشتبك الجانبان في معركة بالسلاح الأبيض [7]، وتم أسر أفراد الحامية الذين نجو من الموت وكان عددهم 43 جنديا[8]، ولم

1 **صالح حيمر**، المرجع السابق، ص ص124-125

2 – **عثمان السعدي**، المرجع السابق، ص ص389 -390

3 – **أحمد توفيق المدني**، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص344

4 – **.صالح فركوس**، المرجع السابق، ص79.

5 – **محمد مبارك الميلي**، المرجع السابق، ص85

6 – **عثمان السعدي**، المرجع السابق، ص390.

7 – **أحمد توفيق المدني**، حرب 300 سنة، المرجع السابق، ص344.

8 –.**صالح فركوس**، المرجع السابق، ص79.

يبقى أمام الجزائريين سوى عقبة القصر الكبير الذي يعتصم فيه القائد الإسباني الدون لويس دي بيرالتا Donlouis De Berlta وحاميته حيث أرسل إليه صالح رايس رسالة جاء فيها: «لقد رأيت كيف أن رجالي قد استطاعوا احتلال معقلين من معاقل دفاعكم ثم إنك لاريب أن تعلم أني قد عزمت بصفة حاسمة على أخذ هذه القلعة التي تدافعون عنها أيضا، بما أنه قد اقتربت ساعة سقوطها المدينة، وأنك لن تستطيع أصلا النجاة والإفلات من قبضة يدي، فأني أطلب منك أن تستسلم وأن تسلم المدينة لي، وأنا أتعهد لك مقابل ذلك أني لن أمسك أنت ولا أي رجل من الرجال الملتفين حولك بسوء»[1].

لكن قائد الحملة رفض الاستسلام واستمرت المقاومة خمسة أيام أخرى، وأخذ الجزائريون يحاولون اقتحام الحصن ثم جمع القائد بقيت الرجال وتشاور معهم وكان عددهم لا يبلغ 120 رجل واضطرهم إلى الاستسلام فأرسلوا إلى صالح رايس يعلنوه بالقرار وقبل هذا الأخير استسلامهم[2] .

وفي الأخير نجح صالح رايس في تحرير مدينة بجاية وأعادها إلى حضيرة الوطن وكان مستعدا لتحرير وهران لكن وفته المنية عام 1556م وفقدت الجزائر فيه بطل وحدتها ومحررها[3].

4- فشل الإسبان في مستغانم ومقتل الكونت الكوديت Alcodit 1558م:

بعدما أدرك الكونت الكوديت أن ولاية وهران ستخرج من يديه وخاصة بعدما سيطر حسن باشا على تلمسان أصر الكوديت على احتلال مستغانم، [4]والذي تحرك على رأس قوى ضمت 12 ألف مقاتل إسباني بالإضافة إلى جماعات كبيرة من الأعراب المرتزقة بقيادة المنصور بوغانم ومن معه من بني

1- **أحمد توفيق المدني**، حرب 300 سنة، المرجع السابق، ص347.

2 -المرجع نفسه، ص 348.

3- **يحي بوعزيز**، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص 18.

4- **عزيز سامح التر**، المرجع السابق، ص 204.

عامر وبني راشد وسواهم بالإضافة إلى مدفعية ضخمة وكميات وافرة من الذخائر وعدة سفن محاذية للجيش تحمل المؤن ووسائل القتال الثقيلة[1].

ولما علم حسن باشا اتخذ الاحتياطات اللازمة تحرك من البر والبحر في حين كلف سفنه بمهاجمة السفن الإسبانية المحملة بالأرزاق والمعدات، فما كادت السفن الإسبانية تغادر مياه أرزيو حتى تمكن الأسطول الجزائري من الاستلاء عليها أما أعين القوات الإسبانية فأصيبت هذه الأخيرة بخيبة أمل كبيرة وتحطمت معنوياتهم[2].

وكان المخطط الحربي الجزائري للقوات المسلمين يقضي بتوجه المجاهدين من الجزائر نحو مستغانم وفي الوقت ذاته تخرج حامية تلمسان بقيادة الحاج البشير في الاتجاه المعاكس، لكي تمنع الإسبان من أي محاولة تسلل نحو الداخل والقيام بمهاجمة الدواوير والقرى من أجل الاستلاء على ما فيها من المواد التموينية[3].

وعند وصول القوات الإسبانية لمزغران في 23 أوت ودخولها صار الجيش الإسباني يعاني أزمة نقص التغذية لسبب رحيل سكانها قبل دخول القوات الإسبانية، ولم يبقى أما الكوديت سوى الهجوم على مدينة مستغانم، حيث حاول اقتحامها في اليوم الموالي، لكنه اصطدم بمقاومة عنيفة من طرف حامية المدينة، لكن القوات الإسبانية تمكنت في النهاية من اقتحام أسوار المدينة[4].

وبمجرد وصول حسن باشا على رأس 5 آلاف من المشاة ورماة البنادق وألف فارس[5]، وانضم إليه من المجاهدين الجزائريين 15 ألف مجاهد، فاقتحم جيش الجزائر بمجرد وصوله المعركة بحيث كان الصدام

1- **بسام العسلي**، الجزائر والحملات الصليبية، المرجع السابق، ص 84.
2- **عزيز سامح التر**، المرجع السابق، ص 205.
3- **أحمد توفيق المدني**، حرب 300 سنة، المرجع السابق، ص315.
4- المرجع نفسه، ص 352.
5- **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص 71.

عنيفا وقاسيا التي توجت لصالح المسلمين، فما غربت شمس ذلك اليوم حتى تم إبعاد الإسبانيين وقذفهم إلى ما وراء أسوار المدينة تاركين بين جدرانها عددا ضخما من القتلى والجرحى، حيث قضى الجانبان المتصارعان تلك الليلة وهما يضمدان جراحهما ووجدت القوات الإسبانية والقوات المتحالفة معها من المسلمين بميدان المعركة من كل جهاته، فقد وقف جيش الجزائر ومعه مقاتلي مستغانم والمجاهدين من العرب المسلمين في مواجهة القوات الإسبانية[1]، في حين وقف إلى يمين القوات الإسبانية جيش تلمسان بقيادة الحاج علي ويسارهم رجال البحر[2].

وشدد المجاهدون قبضتهم على الإسبانيين ومضت في مطاردتهم حتى بلدة مزعزان، وفي 26 أوت 1558م، توجت هذه المعركة لصالح المسلمين ضد الإسبان التي راح ضحيتها 7000 قتيل من بينهم القائد الكونت الكوديت[3].

1- **بسام العسلي**، الجزائر والحملات الصليبية، المرجع السابق، ص 82.

2- **عثمان السعدي**، المرجع السابق، ص 391.

3- **عبد الرحمان الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص 92.

الفصل الثالث: نتائج الصراع الجزائري الإسباني

- المبحث الأول: أسباب فشل المشروع الإسباني في الجزائر
- المبحث الثاني: الظروف السياسية في بداية القرن 18م

لقد عرفت إسبانيا خلال النصف الثاني- من القرن الخامس عشر ميلادي، تطورات هامة كان لها تأثير كبير على إسبانيا خاصة وعلى أوروبا عامة، فبسقوط دولة المسلمين بالأندلس ، أصبحت الدولة الإسبانية على مقربة من شمال إفريقيا، وأصبح مضيق جبل طارق غير كافي كحدود بين المسيحية القوية في الشمال، ودولة مسلمة ضعيفة متناحرة في الجنوب، لذا أخذت إسبانيا وهي تعيش نشوة الانتصار على المسلمين تعمل على توسيع حدودها إلى ما وراء البحار.

فانطلقت في تنفيذ مشروعها التوسعي، والهادف إلى احتلال المناطق الاستراتيجية[1]، وفي مطلع القرن السادس عشر كثّفت من نشاطها التوسعي في شمال إفريقيا وخاصة المغرب الأوسط، مبتدأه بالمرسى الكبير ثم توالت حملاتها بعد ذلك لتشمل باقي مناطق البلاد، مما ترتب عنه عدة انعكاسات[2].

1- **صالح حيمر**، المرجع السابق، ص 26.

2- **عبد الحميد بن اشنهو**، دخول الأتراك، المرجع السابق، ص 47.

المبحث الأول: أسباب فشل المشروع الإسباني في الجزائر

1-العوامل الداخلية:

كانت هزائم الإسبان في مزغران ومقتل "الكونت الكوديت" أقصى هزائمها في الغرب الجزائري، ومنذ ذلك لم يعودوا يفكرون في توسيع نفوذهم في المنطقة، واقتنعوا بضرورة البقاء في مدينة وهران والمحافظة عليها، ومع ذلك ظل وضعهم يزداد سوءا تحت الحصار المفروض عليهم[1]، ومن أسباب فشل المشروع الإسباني في الجزائر:

أ- دور الجزائريين في الدفاع عن أراضيهم:

لقد كان أهالي الجزائر يعملون دور الحاجز الذي يمنع توسع الإسبان نحو ضواحي المدن الساحلية، وهذا ينطبق بشكل واضح على مدينة بجاية التي كانت أول ميناء استرجعه سكانها من الإسبان منذ الوهلة الأولى من الاحتلال، فحاصرها القبائل المدينة حصارا دائما بحيث لم يغادر الإسبان إلا مرات قلائل، وسرعان ما تخلوا عن محاولة الخروج لأن تلك المحاولات كانت تكلفهم غاليا، وهذا ما يفسر مدى عنف المقاومة التي اصطدم بها الإسبان في الجزائر والتي استمرت لأزمنة طويلة[2].

ب- دور العلماء في الدعوة إلى الجهاد:

لقد كان الكثير من العلماء يتوقعون هجوم الإسبان على الجزائر بعد سقوط غرناطة، فأنذروا السكان وحذروهم من الخطر الذي يهدد البلاد، ومن هؤلاء العلماء الشيخ "محمد التواتي" الذي خاطب السكان فقال:

يا أهل وهران أنظروا نظر شفقـــــة لبلدتكم من قبـــل أن تتــردتي
فلا تهملوا أمر الأعـادي فإنّهـــــم بحال اجتماع واتفـاق وشـــدّة
ولا يحمي مرساكم ضعاف رجالكـــم ولا البدو بل تحميه أهل الجزيرة

1- **صالح حيمر**، المرجع نفسه، ص 131.

2- **مبارك الميلي**، المرجع السابق، ص ص30-31.

فإن لهم بالطعن والضرب خبـــــرة وكم فتكوا بالكفر أكبر فتكـــة[1]

ولقد لعب العلماء دورا هاما في الحرب وذلك من خلال الدعوة إلى الجهاد ضد السبان، وكذا نشر الإسلام بين المسيحيين الأسرى الذين وقعوا في أسر البحارة الجزائريين، فكانوا يعتبرون أنفسهم حماة الدين ومصابيح الظلام[2]، فأول من عارض الاحتلال الإسباني في الجزائر هم العلماء وعلى الخصوص الفقهاء الذين عرفوا لدى الكتاب بالمرابطين[3]، فكانوا ينصرون المجاهدين ويطعمونهم من زواياهم ويتحالفون مع الأمراء المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد، وعلى هذا النحو تحالف بعضهم مع العثمانيين، وقدموا لهم مساعدات أساسية كالمؤن والمعدات ورافعوا الروح المعنوية للمحاربين[4].

ج- ظهور العثمانيين وتأسيس الإيالة العثمانية:

في الوقت التي اشتدّت فيه الهجمات الإسبانية على المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط بصفة خاصة ضمن مشروع استعماري يهدف إلى استعمار المنطقة كلها، ظهر عنصر جديد غدى موجة الغارات البحرية، ذلك أن البحارة العثمانيين أخذوا يندفعون نحو غرب البحر المتوسط[5]، بعد أن استصرخهم الأهالي لطرد المعتدين وإبعاد خطرهم بباقي البلاد، وقد أدى ظهورهم إلى تغيير جذري في سير تاريخ البلاد بل المنطقة كلها[6].

وقد برز منهم على الأخصالإخوة بربروس والذين بفضلهم دخلت الدولة العثمانية رسميا في الحرب ضد إسبانيا، بعد أن أصبحت (منطقة الغرب الأوسط) إحدى إيالاتها في شمال افريقيا، وقد شهدت هذه

1- **علي بن سحنون الراشدي**، المصدر السابق، ص 15.

2- **أبو القاسم سعد الله**، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص 410.

3- **مختار حساني**، المرجع السابق، ص 14.

4 - **أبو القاسم سعد الله**، المرجع السابق، ص267.

5- عبد القادر ميلق، المرجع السابق، ص 46.

6- **محمود بوعياد**، جوانب من حياة المغرب الأوسط في القرن التاسع هجري (15م)، ش.و.ن.ت، الجزائر 1982، ص 23.

المنطقة تطورات هامة تمخض عنها ميلاد الدولة الجزائرية الأولى، والتي دخلت في طور جديد أكسبها طابع القوة الحربية، فأصبحت دولة مبنية على أسس قوة يحسب لها ألف حساب[1].

د- بروز طبقة حاكمة قوية:

عرف المغرب الأوسط شخصيات قوية حكمت البلاد خلال نصف الأول من القرن 16م، تميزت بالقدرة والكفاءة على التسيير المحكم سواءا كان على الصعيد الداخلي أو الخارجي ونذكر من بينهم:

- عروج: مؤسس المبادئ القاعدية لتنظيم الدولة ،وهو أول من وضع اللبنة الأولى لبناء الدولة الجزائريةوكذا توحيده للقطر الجزائري وجمع شمل أنحائه، فجعل للجزائر شخصية تمتاز بها وشعار خاص بها ومنابع وخيرات مختلفة، متأثر بنمط السلطة التي كان فرسان رودس يمارسونها كنظام استقراطي[2].

- خير الدين: إنّه الرجل الذي عهد إليه الحكم بعد وفاة أخيه، وعينه الخليفة الأتراك خليفة له، فقد امتاز به العزم والدهاء السياسي[3]،وأرتبط اسمه بميلاد الدولة الجزائرية، لأن الفضل في رسم معالمها الجغرافية ثابتة يعود إلى نضاله وجهاده[4].

- حسن آغا: وهو خليفة خير الدين الذي كان معتقلا في حكمه التام شهد أثناء فترة حكمه أكبر حملة على الجزائر[5]، ألا وهي حملة شار لكان1541م فكان الانتصار عليها مفخرة للجزائر التي اشتهرت بها، فحاولت الدول الأوروبية والشرقية ربط العلاقات والتحالف مع الجزائر[6].

1- عبد القادر ميلق، المرجع نفسه، ص 47.

2- **وليام سبنسر**، المرجع السابق، ص 42.

3- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 328.

4- **مؤلف مجهول**، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تح عبد الله حمادي، دار القصبة، د.م، 2009، ص 20.

5- **كورين شوفالييه**، المرجع السابق، ص ص86-91.

6- **عبد الحميد اشنهو**،«الدور الذي لعبته الجزائر في القرن السادس عشر بالبحر المتوسط»، الأصالة ،العدد 8.9.10،تلمسان ،2011 ، ص297.

– صالح رايس: كانت سياسته قائمة على توحيد البلاد الجزائرية وتطهيرها من الوجود الإسباني، فبعد تأمينه للمناطق الغربية حول أنظاره إلى الجهة الشرقية فكانت وجهته مدينة بجاية، الذي استطاع طرد الإسبان منها واعادتها إلى حظيرة الوطن 1555م[1].

هـ– أوضاع إسبانيا في وهران:

لقد كانت أوضاع إسبانيا لا تسمح بمواصلة الحرب ضد الجزائر لعدم نجاحها في ربط بين مراكز الاستعمارية في الشمال الإفريقي، فظلت مجرد جيوب أو حصون منفصلة متباعدة وظهرت خطورة هذا الوضع حيث انشغلت إسبانيا عن حامياتها مما نتج عنها تعرضها للمجاعة[2]، خاصة بعد ما قام "مصطفى بوشلاغم" بنقل مركز السنجق من مازونة إلى معسكر ، فأصبح قريبا من وهران ووضع المناطق الجنوبية[3] تحت المراقبة، ولجأ إلى اخضاع قبائل بني عامر وقبائل أخرى التي كانت تقيم علاقة ود وصداقة مع الإسبان وبهذا اشتدّ الحصار على وهران وحرم الإسبان من امدادات الضرورية لهم[4].

ومما زاد الأمور سوءا كارثة الزلزال التي حلت بمدينة وهران، فتركت آثار عميقة في قلوب الإسبان وغير من مظهرها تغييرا كبيرا[5]، خاصة المراكز العسكرية والنقاط الرئيسية، فأصبح الإسبان يعيشون أوضاع مزرية للغاية لم يستطيعوا التصدي لضربات الجيوش الجزائرية،بالإضافة إلى أوضاع وهران التي كانت متدهورة بسبب الحصار الاقتصادي المضروب على سكانها، بحكم أن التجارة مع الأتراك كانت محرمة عند الإسبان[6].

1– **يحي بوعزيز**، علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق، ص 50.

2– **عطا الله الجمل**، المرجع السابق، ص 91.

3– عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص458.

4– المرجع نفسه، ص 458.

5– **جمال قنان**، نصوص ووثائق، المرجع السابق، ص 281.

6 – **صالح فركوس**، تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ، المرجع السابق، ص 152.

2- الضغط الخارجي لإسبانيا:

كانت الحروب الإيطالية منذ القرن الخامس عشر، مسرحا للتنافس بين الكثير من الدول الأوروبية التي نشبت بين فرنسا وإسبانيا خلال فترة استطالت65عاما (1494-1559م)، وقد كانت هذه الحروب مظهر من مظاهر التنافس الدولي، من أجل السيطرة والنفوذ في أوروبا والرغبة في التوسع الإقليمي داخل القارة، والتي تطورت إلى نضال أوروبي اتسع نطاقهوانتقل إلى ميادين متعددة خارج شبه جزيرة الإيطالية، واختتمت هذه الحروب بمعاهدة "توكمبرسيس" سنة 1559م[1].

وقد اشتدّ الصراع بين فرنسا وإسبانيا في عهد شارل وفرنسوا الأول، خاصة بعد وفاة ماكسيمليان سنة 1519م، واعتلاء شارل حكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة في 28 جوان 1519م، تحت اسم "شارل الخامس"[2]، ولكن لسوء حظ هذا الأخير أنه اصطدم بعدة مشاكل داخلية منها تلك التي عاشتها إسبانيا ما بين (1519-1521م)[3]، والتي اشتغل في إخمادها مثل الثورات التي أحدثها مسلمين الأندلس إثر منعهم التحدث باللغة العربية وعدم لبس الزي القستلي، وأن يخرج نساءهم وتفتح دورهم لرؤية المارة وكل ذلك لينسيهم شعائرهم الدينية بالإضافة إلى الثورة البلنسية سنة 1519م، فقد كان لهذه الوقائع أثر كبير في فشل المشروع الإسباني في الجزائر[4].

1- **صالح أحمد هريدي**، تاريخ أوروبا الحديث، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2001، ص 11.

2- **عبد الحميد بطريق**، المرجع السابق، ص 73.

3 - **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص96.

4- **عبد الحميد بن آشنهو**، دخول الأتراك ، المرجع السابق، ص 181.

وقد عاصر شارل الخامس أبرز شخصيات القرن السادس عشر مثل "سليمان القانوني"[1]سلطان الدولة العثمانية، وفرانسوا الأول ملك إسبانيا، وهنري الثامن ملك انجلترا، وكانت هذه الشخصيات تشكل خطرا عليه[2]، خاصة سليمان القانوني الذي وصل إلى فيينا وأصبح يهدده[3].

وفي سنة 1521م استؤنفت الحرب بين فرنسا وإسبانيا تلقت على إثرها فرنسا هزيمة كبيرة سنة 1521م، دفعت بفرانسوا الأول إلى التحالف مع الدولة العثمانية، خاصة بعد وقوعه أسيرا العربية وإرغامه على توقيع معاهدة مدريد[4]، والتي تنازل بموجبها عن الأراضي الفرنسية من بينها دوقية وإعطاء ولدين من أبناءه رهينة[5]،وقد اشتغلت إسبانيا في عهد فيليب الثاني بثورات دينية وانفصالية في الأراضي المنخفضة منها الثورة في 1556م[6]، والذي نتج عنها إعدام 186000 وفر من البلاد ثلاثة أمثال هذا العدد[7].

وفي سنة 1621م شهد استئناف الحرب الإسبانية – الهولندية لمبادرة إسبانيا ورئيس وزرائها الكونت دوفأوليفاريز، الذي لم يجدد الهدنة لـ 12 عاما مع هولندا، وهكذا إعادة الحرب بين البلدين انتصر فيها الجيش الإسباني بقيادة ماركيز دوبوسيينولا، وانهزم الهولنديون، وفي الوقت الذي أخذ الملك

1- «هو شاعر وصاحب ديوان، خطاطا أخصائيا في الأحجار الكريمة، وعدا إبجاده للغات الشرقية كان يجيد اللغة العربية، وعالما في مجالي الأدب والحقوق، كان يتقاضى الضريبة ممن أربع دول كبيرة " ألمانيا، روسيا، بولونيا، والبندقية"، أدخل فرنسا تحت حمايته، وضع عدة قوانين للإيالات وراعى فيها الظروف الخاصة بالأقطار سمي بالقانوني لتطبيقه القوانين بعدالة في حين أطلق عليه الأوروبيين ألقاب مثل العظيم والكبير، لكنها لا تضاهي القانوني الذي يمثل العدالة». عن **يلمازأوزوتونا**، موسوعة الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكريوالحضاري، (629-1341هـ/1231- 1922م)، تر عدنان محمد سلمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2010، ص ص354-355.

2 - **عطا الله جمل**، المرجع السابق، ص 91.

3 - **صالح حيمر**، المرجع السابق، ص 19.

4 - **حسنة كمال**، العلاقات الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث 1789-1807م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص ص10-11.

5 - **صالح أحمد هريدي**، المرجع السابق، ص 13.

6 - **جفري برون**، تاريخ أوروبا الحديث، تر علي المرزوقي، الأهلية، لبنان، ط1، 2006، ص 204.

7 - **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص 97.

يشرف على الدوقية واستولى على فالتلين وعزيزون، وهم على الطريق بين ميلان وإسبانيا، كان ريشيليو يخشى من بسط هيمنة ملك إسبانيا على إيطاليا ووضعه السويسريين في خدمته، فتحول للعمل ضد إسبانيا بين عامي 1624-1635م، دون أن يعلن الحرب عليها[1].

وفي سنة 1637م تقدم الجيش الإسباني إلى بيكارديا، وانتشر الرعب في باريس، وحاول رشيليو تهدئة الأوضاع علما بأن الحرب بينهما ظلت غير محسومة، كونها بالحاجة إلى تكاليف للجيوش الإسبانية في اللوريين وإيطاليا الشمالية، وحتى الأراضي المنخفضة وشيئا فشيئا أخذ الجيش الفرنسي يكتسب الخبرة القتالية واستطاع القائد الفرنسي إلحاق الهزيمة بالإسبان[2]، حتى تم فتح باب المفاوضات سنة 1643م وظلت إسبانيا مكرسة جهودها ضد فرنسا واستمر الصراع 11 عاما إلا أن وافقت إسبانيا على التفاوض وإثر انقضاء هذه المدة اندلعت حرب من جديد حتى توقيع معاهدة وستيفاليا[3]سنة 1648م[4].

ومن الأسباب التي فشلت في المشروع الإسباني في الجزائر هو انشغالها بالحروب الوارثة الإسبانية (1701-1713م)، خاصة بعد وفاة "شارل الثاني" وتنصيب "فيليب أنجلو" حفيد لويس ملك إسبانيا باسم "فيليب الخامس"[5]، حيث بدأت الحرب عندما شرع رئيس الإمبراطورية الرومانية المقدسة ليوبولد الأول طالب بأحقية عرش إسبانيا، في حين كان لويس الرابع عشر يقوم بتوسيع أراضيه في أوروبا، مما دفع بجيرانه وعلى الأخص انجلترا وهولندا للدخول في تحالف مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة لضبط التوسع

1 - **مفيد الزيدي**، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (476هـ/1500م)، ج1، دار أسامة، عمان، ط3، 2009، ص 498.

2 - المرجع نفسه، ص 498.

3 - «وهي معاهدة ذات أهمية كبيرة في التاريخ الأوروبي الحديث. فهي أولى المعاهدات التي نظمت شؤون أوروبا، واتخذت طابع دولي بحيث وضعت هذه المعاهدة حدا للحروب وأدت إلى نهاية الإصلاح الديني» .عن **فرغلي علي تسن**، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار الوفاء لدينا، الإسكندرية، ط1، 2002، ص 74.

4 - **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص 98.

5 - **هربرت فيشر**، المرجع السابق، ص 322.

الفرنسي، وامتدت المعارك من أوروبا إلى أمريكا الشمالية حتى انتهت بتوقيع معاهدة (أوترخت) Utrecht عام 1713م، ومن أهم موادها:

- الاعتراف بفيليب انجلو ملك على إسبانيا ومستعمراتها.

- حصول بريطانيا من إسبانيا على جبل طارق وحق إمداد مستعمراتها بالعبيد و بيعها من البضائع سنويا حمولته سفينة واحدة[1].

1 - **مفدي زيدي**، المرجع السابق، ص ص530-531.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في بداية القرن 18م:

1- مواقف القبائل المنطقة من الاحتلال الإسباني لوهران:

بعد أن سيطر الإسبان على المرسى الكبير 1505م ووهران 1509م اعترفت بسلطتهم بعض القبائل المجاورة للموقعين، وقدمت لهم من بين ما قدمت لمقاتلين فأصبحت المنطقة الواقعة بين وهران وجبل الراشد إما خاضعة أو حليفة لهم في الكثير من المرات[1]، وهذا ما ترتب عنه مكوث الإسبانيين لفترة أطول، فقد ساهموا ومن دون شك، في تعزيز وجودهم في المنطقة، فيعتمدون عليهم بكل أمان وأصبح يطلق عليهم اسم العرب المتنصرة كما أطلق عليهم أيضا نعت المغاطيس[2]. وهكذا بدا الإسبان أنهم أقاموا سيادتهم على كل الغرب الجزائري[3].

ولكن لسوء حظهم ظهرت قبائل معادية لهم فهي لا تخضع لحكمهم ولا لسيطرتهم وأصبحت تشكل حجر عثر في طريقهم فأطلقوا عليها اسم "Lastraidores"وتعني الخونة في نظر الإسبان، وبين خضوع للإسبان ومعاداتهم ظهرت قبائل أخرى، فكانوا يذعنون لهم تارة ويخرجون عن طاعتهم ويأنفون بالدخول تحت ذمتهم[4].

أ- القبائل المتحالفة مع الإسبان ودوافعها:

لقد تحالف مع الإسبان عدد من القبائل والتي ذكرها "عبد القادر المشرفي"، وهي تضم الفرق الثمانية: "كرشتل، شافع، حميان، غمرة، قيزة، أولاد عبد الله، أولاد علي، الونازة" لما اجتمعوا عند الإسبان وصاروا على كلمة واحدة في الدفع والجلب، اشتدّ بهم عضد النصارى، وقويت شوكتهم وكثر

---

1 -**صالح عباد**: المرجع السابق، ص 303.

2-« وهي كلمة إسبانية، وهم فرقة من بني زيان من بربر ، فهذا الاسم في الحقيقة لهم، ولغيرهم في المجاز، لأنهم غطسوا إمامهم الذي يصلي بهم بأن باعوه للإسبان غفلة منه، وقد عرفوا عند السكان باليك الغرب بالعرب المتنصرة». **عن أبو راس الناصري**، عجائب الأسفار، ج1، المصدر السابق، ص 301، وينظر **صالح فركوس**، المرجع السابق، ص 142.

3 -**عبد القادر فكاير**: المرجع السابق، ص 343.

4-**عبد الحميد بن آشنهو** ،دخول الأتراك ، المرجع السابق ، ص51.

بأسهم على المسلمين، إلى أن صار وطأ سيرات وملاته من جملة مسارح ومزارع العدو، وليس للمسلمين فيه مطمع إلا من جاء إلى حزبهم وصار من رعيتهم ودخل في حمايتهم وأدى لهم الجباية، وكان معينا لهم على مرادهم[1] فانتهكوا حرمة الإسلام غاية الانتهاك وصاروا لقنص أهل الإسلام حبائل وأشراك معتقدين أنهم على الإسلام وصحيح الإيمان[2]، فكانوا عيون العدو التي يعتمد عليهم في جلب الأخبار والمسير في الطرق واتخذ منهم جواسيس يقال لهم المغاطيس[3].

- **كرشتل:**

وهي قبيلة من زناتة تنسب إلى جدها كرشتل محمد المغراوي ،كانوا يقطنون عند مصب نهر الشلف في البحر، ثم انتقلوا إلى مزغران غربي مستغانم ، ثم إلى سيرات الواقعة في شرق المستنقعات المقطع شمال المحمدية[4]، اشتغلوا بالبخور والخضر والتجارة وكانت مهمتهم لدى الإسبان تتمثل في نقل الأخبار، لذا سميوا "بمغاطيس"، وعند الإسبان بـ" **Mogtazes**"، والتي تدل على قبيلة كرشتل وكيفية التغطيس عندهم«أنهم يأتون بدوابهم إلى القرى بصفة بائعي العطور المتجولين، فإذا وجدوا خبرا جلبوه للإسبان وكذا يقومون بسرقة الناس ويأخذوهم ليبيعونهم كعبيد للإسبان بوهران»[5].

استوطن هؤلاء بساحة وهران في السفن خندق النطاح ،وكان لهم زوارق يركبونها إذا اشتدّ عليهم الأمر وسدت عليهم الطرق، ويحملون فيه للإسبان سائر الخضر وكانت هذه القبيلة تقيم عند قدم الجبل كريشتل على بعد 15 كلم من وهران يبلغون ستون دوار[6].

1-**عبد القادر المشرفي**، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران كبني عامر، تح و تق محمد بن عبد الكريم، المكتبة الحياة، لبنان، د.ت، ص 37.

2 -**أحمد بن سحنون الراشدي**، المصدر السابق، ص ص31-32.

3- **محمد بن يوسف الزياني**، المصدر السابق، ص 142.

4- **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق ، ص 345.

5-**عبد القادر مشرفي**، المصدر السابق، ص 13.

6- المصدر نفسه، ص 15.

– شافع:

هم من بين رعايا الإسبان الذين كانوا جنودا لهم، بلغ عددهم عشرون دوار كانوا أهل النجدة والبأس الشديد وقتال عنيد، فالتقوا بهم الأسبان واشتدت شوكتهم على النصارى واعتادوا بهم وصاروا مشتدين وأكثروا من الغارات على الأقربين والأبعدين، وكانت تبعيتهم للإسبان أكثر من غيرهمفهم لا يبرمون الاتفاقيات مثل غيرهم، بل يدفعون الضريبة الزويجة (محراث بجره الثوران) التي يستعملونها كل سنة، وكانوا من أتباع ملك إسبانيا لا من أتباع وهران، لذا لم تكن شافع بحاجة لمعاهدة ولا حماية ولا تقدمان الرهان كانت تقطن وتستفيد من الإقليم الواقع بين أراضي وهران وسسال، على بعد خمس فراسخ من ساحل الغرب وهران، إلى أن طرد الإسبان من وهران من القرن الثامن عشر، خضعت شافع للأتراك الذين منحوها أراضي بين عين البيضاء والزيدور، وسندت لهم مهمة رعاية القطعان من الماشية[1].

– حميان:

نسبة إلى جدهم حميان بن عقبة بن يزيد بن عيسى بن زغبة الهلالي، كانت لهم إتاوة على أرض حمزة والد هوبس بن حسن من قبل الموحدين، وسبب إيتاءهم إلى تلك الأرض أن يغمراسن بن زيان لما تولى ملك تلمسان كثر عبث المعقل وفسادهم والمجاورون لهم، وهم أهل الإنقاذ أتى ببني عامر من الصحراء بنوا يزيد واستمروا ساكنين حيث المعقل وتلمسان[2].

– غمرة:

وتنتسب إلى جدها غمرة البربري، ويذكر أن أصلهم من برقة ثم انتقلوا إلى المغرب، ومنها رحلوا إلى الحفرة وراء وهران مع حميان، كان سكانهم يتجمعون فيما يزيد على ستة دواوير وفي مجال علاقتهم مع الإسبان فقد نصروا الإسبانيين نصرة شديدة على المسلمين، حتى كانوا لهم عضدا في كل شيء[3].

1- **رابح الونيسي وآخرون**، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص 38.

2- **أبو راس الناصري**، عجائب الأسفار، ج2، المصدر السابق، ص 152.

3- **عبد القادر المشرفي**، المصدر السابق، ص 28.

وكان عدد سكان هذه القبيلة يتوزعون علىثلاثون دوار، فكانت لهم الرغبة الشديدة والميل إلى الاستعمار، وبعد الهجوم الذي شنه "ابراهيم باشا" على وهران لتخليصها من الإسبان، صعد إلى الجبل المطل على وهران فنصب فيه مدافعه والآلات، وبعد الحادثة تفطن الإسبان لأهمية هذا الموقع الجبلي في تأمينه للمدينة، فأقاموا عليه قلعة حصينة منيعة وأطلقوا عليها "سنتا كروز"[1]، وعندما صعب عليهم التزود بالمياه الضرورية قام الشيخ حميان بنقلهم إياها[2]

– قيزة:

نسبة إلى جدهم بني عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف أحد بطون بني عامر، ليسكنوا بنواحي التارقة القديمة من عين تموشنت. ولما لحق بهم إخوتهم الونازرة انتقلوا وسكنوا في ضواحي تمزوغة، كان عددهم 13 دوار، ساعدوا بدورهم وساندوا الإسبان طويلا في مختلف المجالات منهم من دخل الجندية ومنهم من إنظم إلى فئة المغطسين، لدرجة أن الإسبان في هذه المدينة لما كانت تضيق بهم دائرة الحصار من قبل المسلمين كانوا يسكنون معهم هؤلاء العرب في الأبراج وفي منطقة مرجاجوا بين الحصن اليهودي وحصن العيون، وقد تمتعوا بالمحبة الإسبان والعطف عليهم[3].

– أولاد عبد الله:

كان مسكنهم بالوادي الثلاثاء بملاته يبلغون ستون دوار عرفوا ببأسهم الشديد دون عنفة والمكر العنيد، كان لليهود عليهم صولة عظيمة، وأشدّ نصحا وإعانة للإسبان يقبلون يد اليهود والنصارى من الجهتين تشريفا لهم، كما تصاهروا مع الإسبان واليهود وعرفوا بحبهم لعبادة الأوثان والأصنام[4].

1- **صالح عباد**، المرجع السابق، ص 308.

2- **أبو راس الناصري**، عجائب الأسفار، ج2، المصدر نفسه، ص 152.

3- **بلبوري سيد أحمد**، الاحتلال الإسباني الأول لوهران وانعكاساته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 1985، ص 119.

4 – **حنفي الهلالي** ، عملاء وجواسيس الإسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر، العدد 7، 2005، ص146.

– أولاد علي:

وهي فرقة كبيرة تناهزسبعين دوار كانوا يقيمون في الأراضي المحيطة بتمزوغة، من سيرات إلى السيق، يجاورون حميان شمالا وأولاد سليمان جنوبا أراضيهم في تسالة خصبة وفي واد فيغة (سيرات) مروية وقد استولى عليها الباي بعد الانسحاب الأول للإسبان، لقد ظل البايلك غاضبا من هذه الجماعة إلى غاية سنة 1740م، حيث منحها أراضي بين عين البيضاء والز يدور، كان لهذه الفرقة اذعان عظيم للإسبانيين ومحبة لليهود، فكانوا أهل إعانة شديدة لهم حتى غزو بهم المرة بعد الأخرى على المسلمين بالكرط،كان فيهم جبار عنيد وظالم شديد يقال له " رابح صولة" وكان أولاد علي ما يفوق المئتي فارس من الأعيان ومن غيرهم[1].

– الونازرة:

وهم فرقة ذات بأس شديد وحقد عديد على المسلمين، وهم نحو 6 دواوير، تقع مساكنهم بوادي سنان بضواحي تموشنت، انتقلوا مع إخوانهم قيزةعلى منطقة تمزوغة، ثم سكنوا هيدور ولما جاء الإسبان لوهران،كانوا من جملة جنودهم المعتمد عليهم، منهم العيون والجنود، أطلق عليهم الإسبان تسمية "اللصوص" وكان اليهود مكلفون بالجباية الأموال من دواوير هذه القبائل[2].

– دوافعها:

من الدوافع الرئيسية التي جعلت بعض الجماعات الأهلية تنطوي تحت سلطة الإسبان في وهران هي:

1- **صالح عباد**، المرجع السابق، ص 309.

2- **حنفي الهلالي**،المرجع السابق، ص 147.

- سيطرت هؤلاء الإسبان على السهلين الهامين "مليتةوسيرات" وهما سهلان واسعان وخصبان فيهما مراعي لا مفر منها لقطعان الماشية القبائل المجاورة، فكان على هذه الأخيرة أن تتصالح مع الإسبان لكي تضمن لنفسها الاستفادة من السهلين[1].
- كانت المناطق التي تتواجد بها القبائل أغلبها أراضي منبسطة لم تسمح يوما بالدفاع عنها لعدم وجود الحصانة الطبيعية، مما يجعلها معرضة لهجومات فرسان إسبانيا وهذا عكس ما حدث بسهل بجاية حيث لم يتمكن هؤلاء من الخروج من المدينة لصعوبة الأراضي المجاورة لها، لأن أغلبها مناطق جبلية يصعب التوغل بداخلها كما تميزت قراها بشدة تحصينها مما يصعب الوصول إليها[2].
- الاستفادة من الحماية والامتيازات والاغراءات المادية وضعف الإيمان هي التي جعلت بعض الأعراب يقبلون بمهادنة الإسبان والعمل عندهم كجواسيس، وعملاء ضد المسلمين[3].
- إضافة على أنه بعد احتلال مرسى الجبير الكبير ووهران، رأى هؤلاء القاطنين في ضواحي وهران أن وضعهم أصبح سيئا، خاصة وأن الإسبان وصلوا إلى ديارهم وهم يقتلون ويجردون ويستولون على الأشخاص ويهدمون كل شيء، لهذا قروا طلب الأمان وإعلان الولاء، مهما كانت هذه المبررات فإن ذلك السلوك كان مستهجنا من بعض الكتاب والشعراء ونذكر منهم:
- أحمد بن قاضي السجلماسي، بحيث نظم قصيدة ينتقد فيها بني عامر[4]، على علاقتهم مع

1-**صالح عباد**، المرجع السابق، ص 306.

2-**مختار حساني**، المرجع السابق، ص 22.

3- **حنيفي الهلالي**، المرجع السابق، ص 146.

4-«هي قبيلة كبيرة تنتسب إلى جدهم عامر بن يعقوب بن حميد بن عامر بن زغبة، وهي بطن من زناتة استقرت في مزغران غربي مستغانم، ثم انطلقوا إلى منطقة تدعى سيرات، ويقال لهم أيضا قبيلة سيرات نسبة إلى جدهم، تعود جذور علاقتهم مع الإسبان إلى أعقاب الاحتلال الإسباني لوهران، عندما فتحوا سوقا تجاريا بجوار المدينة ليتزودوا به بما يحتاجونه من المحاصيل الزراعية والحيوانية مقابل ما كان عند الإسبان من ذهب وفضة، لكن المسلمين اعتبوا أولئك المتعاونين خونة، فعاملوهم معاملة العداء فأخذوا يوجهون ضدهم غارات مما زاد اهتمام الإسبان بهم». عن **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق، ص 341.وأيضا، **صالح فركوس**، المرجع السابق، ص142.

الإسبان من جهة أخرى يناشدهم الإقلاع عن فعلتهم:

فمن مبلغ عني قبائل بني عامر ولاسيما قد ثـوى تحـت الكافـر

وكـل كمـي من صناديـد راشد بتيجانها مع رأسها عبد القادر[1].

ب- القبائل المعادية للإسبان:

- هبرة:

هم من أولاد مقداد بن مهاجر بن سويد بن عمارة بن مالك بن زغبة بن أبي ربيعة بن هلال بن معاوية بن بكر بن مضر بن نزار بن عدنان، وهم عرب هلاليون مضريونمن بطون زغبة وبطونهم تسعة[2]، كانت تتكون من فلاحين يملكون الأراضي ضفي الواد الذي يحمل نفس الاسم، يجاورون أولاد علي شرقا والمجاهر شمالا وبني شقران شرقا وجنوبا، لم تدخل هبرة في طاعة النصارى الإسبانيين بحيث كانت لهم حروب عظيمة منها:

وقعة سيدي مبارك ذلك أن هبرة كانت متفرقة في النزول ما بين سيرات الشرقية والغربية والساحل والجبال، ولم يكن معهم سوى البعض من أولاد هداج، فقام الإسبان ومعه جيش من قيزة وشافع وغمرة وحميان وأولاد عبد الله بالإحاطة منهم وأسرهم عن آخرهم، فبلغ الخبر إخوتهم فأتوهم مسرعين وحصل القتال بينهم وبين العدو، ففكوا الأسرى من يده بعد أن مات من رجالهم، وذهب الإسبانيين بغنيمة الأموال ورجع هبرة بأسرى إخوتهم من الصبيان والنساء والرجال[3].

1- **عبد القادر فكاير**، المرجع السابق ، ص 353.

2- «وهم الدعاشمةوالهدادجةوالملايلةوالمكاثريةوالصواوقةوالعزايرةوالدواودياوالفطناسةوالدعاعنة، وهم فرقة من السويد كانوا يعتبرون أنفسهم من أصل المجاهر بن سويد، وتوجد قبيلة سويد في الجنوب الشرقي من زمورة(عمالة وهران)». عن **بن عودة آغا المزاري**، المصدر السابق، ص 215.

3- المصدرنفسه، ص 213.

أما حروبها مع السويد، فراجع إلى أن أهل هبرة كانوا يعترضون المسلمين الفارين من الأندلس بعد نزولهم بالمرسى آرزيو، فيأخذون ما بأيديهم ويشقون بطونهم ظنا أنهم يبتلعون الناض، ولما سمع "محمد أقدار التيجيني" حرض أحميد العبد الكبير على غزو هبرة المنتهكة لحرمة المهاجرين[1].

– مجاهر:

كلمة تعني الأسد وقد عرفت عنهم الشجاعة في الحروب، وهم أولاد بوكامل، وأولاد ملف، وقد كانت قبائل المجاهر مخزنيه أحيانا وتابعة للرعية أحيانا أخرى[2].

ج– قبائل بين المعادات والموالات:

– بنو راشد:

قبيلة بربرية هامة، استوطنت جبل عمور زمنا طويلا، وكان يسمى باسمها جبل راشد ثم طردتها قبيلة عمور فاتجهت شمالا حتى تسالة، ومنها إلى جبال بني شقران جهة معسكر، ثم زحفت فاستوطنت في سهل غريس واجتمعت حولها قبائل أخرى، وحين ضاع صيتها حدث تحالف بينها وبين الزيانيين الذين صاروا من القرن السادس عشر يفضلون بني راشد على بني عامر،ونشأت بينهم منافسة شديدة تعمقت أكثر حين أصبح المغرب الأوسط مسرحا للأحداث الكبرى تحركها أطراف متعددة أتراك، الزيانيون، الإسبان، وسمي الإسبان بني راشد Ben-Arax، حيث لم يحافظوا على تسميتهم الأصلية كبني عامر[3].

– بني شقران:

الذين غزوهم الإسبان برمال عين أبوس الشرقية على يد جيورين حسنة واتخذوا فيهم بالقتل والسبي إلا أن أذعنوالهم بالطاعة[4].

1– **أحمد بن سحون الراشدي**، المصدر السابق، ص 28.

2– **كمال بن صحراوي**، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة دكتورة منشورة، قسم تاريخ وآثار جامعة وهران، 2013-2014، ص 257.

3– المرجع نفسه، ص 272.

4 –**بن عودة آغا المزاري**، المصدر السابق، ص123.

2- تحرير وهران:

كانت قضية وهران والمرسى الكبير من الإهتمامات الكبرى للجزائر، والشغل الشاغل للسكان والدولة معا، حيث تعددت الحملات العسكرية الجزائرية ضد المحتلين الإسبان في وهران والشواطئ الإسبانية[1]،فبعد فشل محاولات كل من حسان باشا (1563م)، ومحمد قوصة (1606م) والباي ابراهيم (1687م) في انقاذ وهران والمرسى الكبير[2]، وكثر الضرر بالمسلمين استغاثوا بالداي الجزائر "محمد بكداش" [3]، فخاطبه الشعراء والعلماء بالفصيح والملحون وألهموا حماسه بحيث نظم الشيخ محمد عبد المؤمن قصيدة يحث فيها الداي على غزو وهران:

نادتك وهران فلب ندائهـــا وأنزل بها لا تقصدن سواها

وأحلل بهاتيك الأباطيح والربا واصرحن دفينها إلا واهـــا

مصطحبين لواءك المنصـــور يلقاها الفتح المبين وجاها[4]

بعد تسلم "محمد بكداش" مقاليد الحكم في الجزائر 04 مارس 1707م، قرر طرد الإسبان من وهران فاشتغل بتكميل حركة المحلة والتي كان قد أسسها من سبقه تحت قيادة "مصطفى بوشلاغم" والمعروف عند الإسبان بـ(بقيطليلوس)، فنقل هذا الأخير مركز الحكم من مازونة قاعدة العمالة الغربية إلى معسكر ليكون قريبا من الأعراش حتى يضبطهم وينبه على الجهاد[5].

1- **يحي بوعزيز**، مع تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 62.

2- **يحي بوعزيز**، العلاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق، ص 95.

3- «هو أبو النصر السيد محمد بكداش نور الدين أبي حسن علي بن محمد بكداش ومعناها بالعربي الحجم القاسي، كان عالما وفقيها، شارك في عدة الفنون والمعارف والعلوم». عن**أبو راس الناصري**،عجائب الأسفار، ج2، المصدر السابق، ص 341.

4- **عبد الرحمن الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص 211.

5- **جمال قنان**، المرجع السابق،ص203.

استرسل " محمد بكداش" في تعزيز الجيش بإمدادات ضخمة من حيث العتاد والعدة[1]، الذي احتوى على 8500 جندي نظامي من سائر طبقات الشعب، وامتاز بمشاركة طلاب العلم وتلامذة المعاهد والزوايا،فانخرط منهم في سلك الجيش ما يقدر ب 700- 1000 طالب، وخرجت هذه الكتائب بقيادة صهره "أوزن حسن" في 02 جوان 1707م، وكان على رأس الجيش الدي "مصطفى بوشلاغم"[2] ولما وصل الأسطول الجزائري لمياه وهران تعذر النزول بها فتحول إلى ساحل أرزيو فأرسي به وشرعوا في توجيه مدافعهم نحو ثكنات العدو[3].

وما أن علم الصليبيون بنوايا المسلمين حتى أرسلوا دعما من مالطا يتكون من 07 سفن تحمل عن متنها عددا من أشد المقاتلين[4]، وبعض من المتطوعين الفرنسيين، فحل هذا الدعم بالمرسى الكبير وزاد من تصميم حاميتها الإسبانية على الصمود والمقاومة، حيث بدأت القوات الجزائرية هجومها مع بداية سبتمبر 1707م، فكان أول ما قامت به هو تدمير مجاز الماء الذي يرد من خارج وهران، وعليه حصن المنبع"برج العيون"[5]، وقد قام المجاهدون بحفر خندق وصل بهم إلى داخل الحصن، والتحمت نيران أول معركة من معارك هذا الفتح المبين، ثم هاجموا برج العيون وصدقوا في وجوههم وحفروا تحته الألغام لتفجيره ففشلوا في تدميره واضطروا على إثره لمهاجمته بالسيوف حتى تمكنوا من الصعود جدران الأسوار واحتلالها بعد معركة عنيفة، أسرى فيها 322 من بقايا المدافعين عن البرج ومن أنصارهم من عرب جيذرة 20 رجل، 27 جريح وغنم المجاهدون كميات كبيرة من السلاح والذخائر والمواد التموينية، وبلغ قتلى الإسبان40 رجل ويعتبر 08 سبتمبر 1707م أول نصر للمسلمين[6].

1-**محمد بن ميمون الجزائري**، المصدر السابق ، ص30.

2-**بسام العسلي**،الجزائر والحملات الصليبية،المرجع السابق،ص121.

3-**آغا بن عودة المزاري**، المصدر السابق، ص108.

4-**مختار حساني**، المرجع السابق ،ص108.

5-**بسام العسلي**، الجزائر والحملات الصليبية، المرجع السابق، ص121.

6-**أحمد توفيق المدني**، حرب 300سنة، المرجع السابق، ص456.

وبعد استجمام المجاهدين 15 يوما تقدم الفاتحون منهم إلى حصار برج مرجاجو (سانتا كروز) الذي كان يشرف على وهران والمرسى الكبير، فضيقوا على أهله الخناق وفتحوه بعد ثلاثة أيام واحتله الجيش التركي في 26 سبتمبر، وامتلك المسلمون جميع ما احتوى عليه الحصن من سلاح وذخائر وتموين وقبضوا على 100 أسير منهم ستة نسوة[1]، وبعد إحراز المجاهدين لانتصاريين متتاليين توجهوا إلى حصن "برج بن زهوة" والمعروفب"سان غريغو" فأحاطوا به وحفرت الخنادق والأنغام حوله ونشب القتال بين الطرفين واستمرت الحرب طوال شهرين انتصر فيها المسلمون، واحتلوا الحصن يوم الثلاثاء 01 نوفمبر بعد أن إستشهد منهم عدد وافر وهلك من جيش العدو 120 جندي ولم ينجوا منهم سوى 09 أسرى[2] وبقي على قوات المسلمين اقتحام آخر القلاع وهي قلعة "برج الجديد"[3]، حيث اضطر المسلمون للإحاطة به بمجموع من المراكز أطلق عليها اسم "المتاريس" الذين استخدموا لتدمير المقاومة في المدينة واستنزاف قواتها، وصار رصاص بنادق المجاهدين يصل إلى أفراد الحامية الإسبانية، حيث اضطروا إلى ثقب جدران المنازل ووصل البعض بالبعض عن طريق هذه الثغرات، وأثناء ذلك أخذ المجاهدون في التسلسل في أطراف المدينة والتوغل فيها والاشتباك مع أفراد الحامية المدافعة عنها، حتى وصلوا إلى كنيسة (سانتا مريا) وصار قسم المدينة الموجود بين برج الجديد- والبرج الأحمر بين يدي المجاهدين، وأخذ الإسبانيون في نقل أمتعتهم وممتلكاتهم إلى المرسى الكبير، واضطر بقية أفراد الحامية إلى الاستسلام[4].

ولما اشتدّت الهجمات التركية وتعددت انسحب الحاكم الإسباني العام "دون ملشور دي فيلاند" من وهران إلى المرسى الكبير، متجها إلى إسبانيا تاركا من وراءه عددا من الرجال والنساء والأمتعة التي لم

1-**عبد الرحمن الجيلالي**، المرجع السابق، ص214.

2-**جمال قنان** ،نصوص ووثائق، المرجع السابق، ص214.

3-«وهو البرج الذي أقامته امرأة نصرانية بتسعين ألف ريال من خالص مالها صدقة عليها». عن **بن عودة آغا المزاري**، المصدر السابق، ص 233.

4-**بسام العسلي**، الجزائر والحملات الصليبية، المرجع السابق، ص124.

يكن نقلهم ممكنا إلى إسبانيا[1]، بالإضافة إلى بعض المغاطيس من الأعراب الذين وقفوا إلى جانب الإسبانيين فتمت إبادتهم وتبع ذلك استسلام (برج الجديد)، الذي وجد فيه أربعة مائة مقاتل علاوة على ما غنمه المسلمون من محتويات البرج[2]، أما بالنسبة لعدد الأسرى الذين وقعوا في قبضة المسلمون ألفين أسيرا بينهم (مائتي ضابط من كبار الضباط)[3]، وجماعة من المتطوعين مالطا والفرنسيين، الذين اقتيدوا إلى المدينة الجزائر، وثم تخليص البرج في يوم 20 جانفي 1708[4]، وبعد ذلك التجأ "أوزن حسن" إلى المرسى الكبير فشدد الحصار عليها وسد على الإسبان كل المنافد حتى أصبحوا مهددين بالمجاعة بعد أن انقطعت عليهم الامدادات[5].

وعلى إثر ذلك احتدم صراع الحرب واشتدّ لهيبها، ورغم كل ما بذله الإسبان من وسائل الدفاع بنواحي المرسى الكبير، فقد انتصر عليهم الأتراك وتمكنوا من القضاء على آخر مقاومة، فاستسلمت لهم المدينةوقتل 3آلاف من الجيش الإسباني وساقوا من الأسرى 1461 وسير بهم إلى العاصمة[6]، وأباح "بوشلاغم" دماء المغاطيس من بني عامر اللذين تعاونوا مع الإسبان[7]، وبذلك تم فتح وهران على يد "أوزن حسن" و"الباي مصطفى بوشلاغم" صبيحة 20 جانفي 1708[8](**أنظر الملحق رقم02**)، بعد إقامة النصارى 200 سنة و5 سنين وفي هذا الصدد قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن التغريري على إثر هذا الفتح.

1- **صالح عباد**، المرجع السابق، ص 150.

2- **بسام العسلي**، الجزائر والحملات الصليبية، المرجع السابق، ص 124.

3- **ناصر الدين سعيدوني**، دراسات الأندلسية، المرجع السابق، ص 159.

4- **أحمد سليماني**، المرجع السابق، ص 99.

5- **مبارك الميلي**، المرجع السابق، ص 20.

6- **أحمد توفيق المدني**،حرب 300سنة، المرجع السابق، ص 464.

7- **يحي بوعزيز**، وهران، المرجع السابق، ص 90.

8-«20 جانفي 1708م/ الموافق ل 26 شوال1219». عن **محمد بن يوسف الزياني**، المصدر السابق، ص 160.

يا سائل عما بالوهـران ظهـــر من أخذها وفكها كما اشتهر
أخذها الكفـــار بالثبـــات فيما رويناه عن الثقـــات
سنة أربع عشـــر مضـــت من بعد تسعمائة قد كملـت
ثم بعـــد العـــزم مـن إلاه وجاءنا الفتـح بالنصـــر الله
وفي السادس وعشرين من شوال صبيحة الجمعة خذ المقـال
محمد بكـداش فخـر الدولـة وحسن سيرها العالي الصولة[1]

وبعد هذا الفتح [2]بادر "محمد بكداش" بإرسال هدية عظيمة ثمينة إلى الباي العالي منها ثلاثةمفاتيح ذهبية وطلب من السلطان أن يتكرم عليه بقفطان يلبسه لصهره "أوزن حسن" كشعار لترقيته إلى رتبة باشا لكن السلطان رفض هذا الطلب[3].

مقتل بكداش:

وبعد تأخر إدخال الضرائب إلى خزينة الدولة صعب على الداي تأدية الأجور الإنكشارية، التي لم تطق صبرا على تأخير أجورها ولا سيما حين بلغها الخبر بأن باي الناحية الشرقية جمع الضرائب وهرب بها، فثارت عليه وقتلته في شهر مارس 1710م، وجعلت مكانه الداي "دالي ابراهيم" الذي ألبسته قفطان الداي السابق"محمد بكداش" وهو ملطخ بالدم فلم يهدأ للداي الجديد بال حتى ثنى بقتل "أوزن حسن"[4].

1- المصدر نفسه، ص 160.

2- «بعد الفتح انتقل الباي محمد إلى وهران وسكنها وصارت مسكنا للبايات من بعده، ودحل اليها الناس وعمروها وبنيت فيها المساجد». عن **الحاج أحمد شريف الزهار**،مذكرات أحمد شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر،تح أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت،الجزائر،ط1980،2، ص63.

3- **محمد بن ميمون الجزائري**، المصدر السابق، ص 30.

4- **محمد بن ميمون**، المرجع السابق، ص 31

لم يتحمل الإسبان آثار هزيمتهم، وطردهم من وهران فقد ظلت هذه الآثار ماثلة في أذهانهم مشكلة صدمة قوية للشرف الإسباني فأخذوا منذ تلك اللحظة يستعدون للأخذ بالثأر من المسلمين وإرجاع وهران، والمرسى الكبير، كنقطة لانطلاقإسبانيا والمسيحية جمعاء[1].

ولعل أبرز ذلك تلك الحملة التي قادها "الدوق مونتياز"، والتي تمخض عنها استرجاع الإسبان لوهران مرة أخرى يوم 01جويلية1732م[2].

1- **جون ب وولف**، المرجع السابق، ص 400.

2- **بسام العسلي**، الجزائر والحملات الصليبية، المرجع السابق، ص 132

خاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع توصلنا إلى عدة نتائج يمكن حصرها في النقاط التالية:

- إن العدوان الإسباني على الجزائر في بداية القرن السادي عشر جاء نتيجة لتحولات شهدتها إسبانيا منذ توحيدها وإنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس سنة 1492م، وقد ترتب عن هذين الحدثين تطورات دفعت البلاد إلى تحقيق العديد من الأهداف السياسية والدينية والاقتصادية عن طريق غزو بلاد المغرب عموما والجزائر خصوصا.

-إن حالة الضعف والانقسام التي آلت إليه الجزائر بداية القرن السادس عشر، قد شجع الإسبان إلى المضي في سياستهم التوسعية، خاصة بعد نجاحهم في احتلال بعض المراكز الساحلية الهامة مثل المرسى الكبير، وهران، بجاية، كما تمكنوا من وضع مناطق أخرى تحت سلطتهم بواسطة فرض المعاهدات احتوت في كثير من بنودها على فرض الولاء والطاعة للإسبان، غير أن ظهور الإخوة بربروسفي المنطقة، وفي هذا الظرف بالذات أحدث أول صدمة للمشروع الاستعماري الإسباني في البلاد المغاربية .

-إن التصدي الإخوة بربروس للاعتداءات الإسبانية على السواحل، قد عزز مكانتهم لدى إخوتهم المسلمين بالجزائر، وهذا ما ساعد على إرساء أسس الدولة الجزائرية الأولى .

-إن لجوء الجزائريين إلى التحالف مع الخلافة العثمانية، كان خيارا استراتيجيا بكل أبعاده، إذ شكل منعطفا حاسما في تاريخ البحر الأبيض المتوسط، وقد نتج عنه وضع الأسس الأولى للدولة الجزائرية، وهذا من خلال تزويدها بالعتاد الحربي والجنود، وتمكنها من الرد على العديد من الحملات التي تعرضت لها مدينة الجزائر، وكذلك بحكم تحالفها مع الخلافة العثمانية، وقد أدى ذلك إلى انتقال الصراع بين القوتين العثمانية والإسبانية إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط، حيث استمرت المواجهات بينهم طيلة القرن السادس عشر تقريبا.

-إن تحرير الجزائريين للعديد من الثغور الإسلامية، وخاصة تحرير قلعة البانيون1529م، كان إنذارا ببروز الجزائر كقوة فتية في شمال إفريقيا وهذا ما جعل الدولة الإسبانية، ومن وراءها الأمم المسيحية

الأوروبية تدرك خطورة ذلك على مستقبل الصراع الإسلامي المسيحي في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

-لقد ترتب عن الاحتلال الإسباني لمدينة وهران والمرسى الكبير لمدة تقارب الثلاثة قرون، تعرضت فيه القبائل المجاورة للموقعين إلى استنزاف ثرواتهم من قبل الإسبان، فكان العرب الموالين لهم ملزمين بالدفع الضرائب المتنوعة مقابل عدم تعرضهم إلى الغزو، وكان موقف السلطة والمجتمع من هؤلاء(القبائل) موقفا متصلبا حيث لم يتوان البايلك في قمعها كلما كانت الفرصة سانحة، ولم يتأخر العلماء في فضح أعمالها والتشنيع بها وبيان موقف الشرع منها، أما القبائل المعادية التي رفضت الوقوع تحت نفوذهم تعرضت لأعمال الغزو والنهب لثرواتهم والأسر لأفرادها.

-لقد ساهم الشعراء والعلماء بمختلف مستوياتهم إلى التنبيه بالخطر الأجنبي، والدعوة إلى تحرير المواقع التي تعرضت للاحتلال الإسباني، وكان التحرير الأول لوهران سنة 1708م منطلقا لانتشار نوع متميز من نظم الشعر اشتهر به العديد من الشعراء.

الملاحق

الملحق رقم (01)[1]

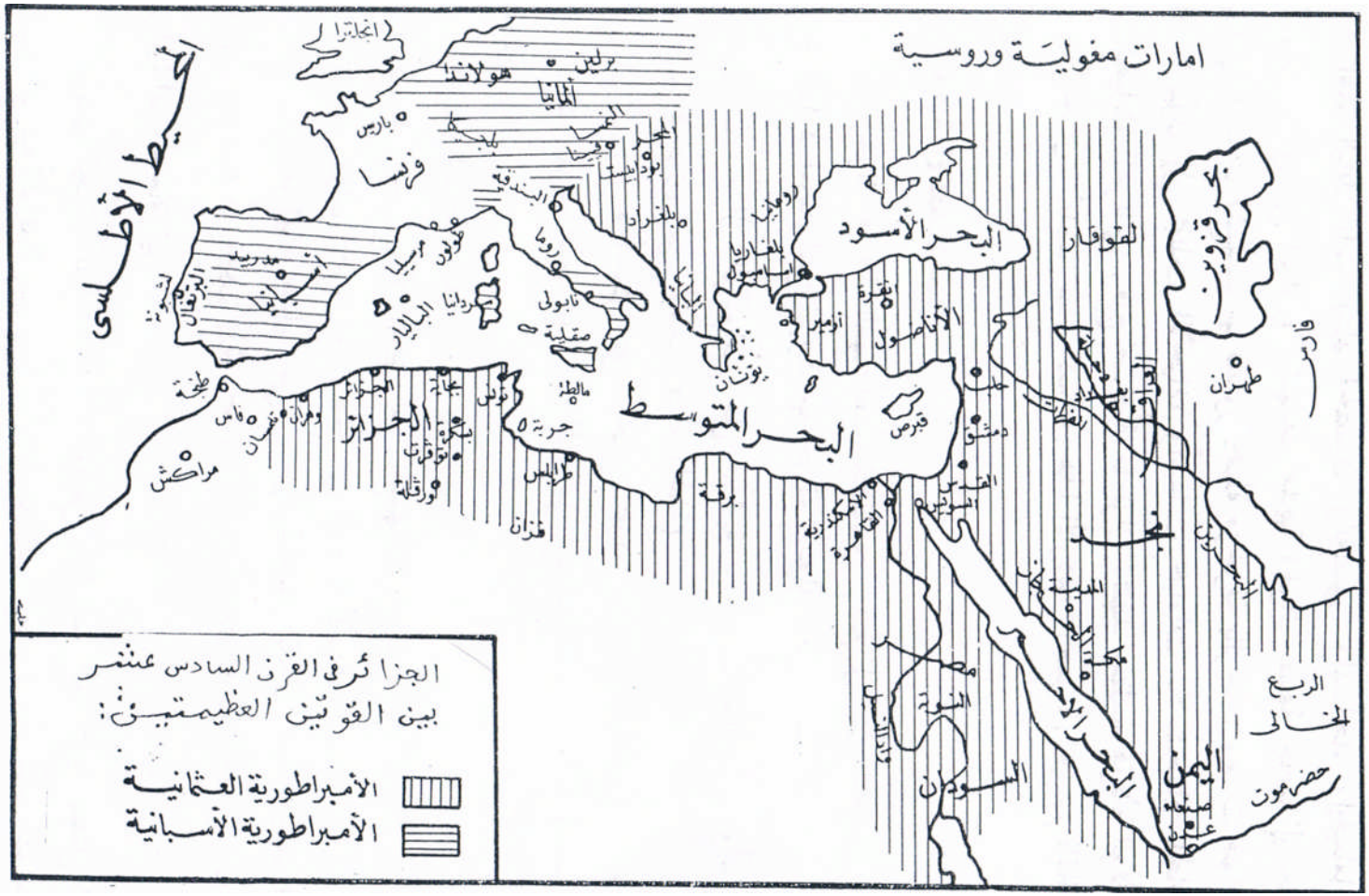

[1]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص 31.

الملحق رقم: (02)[1]

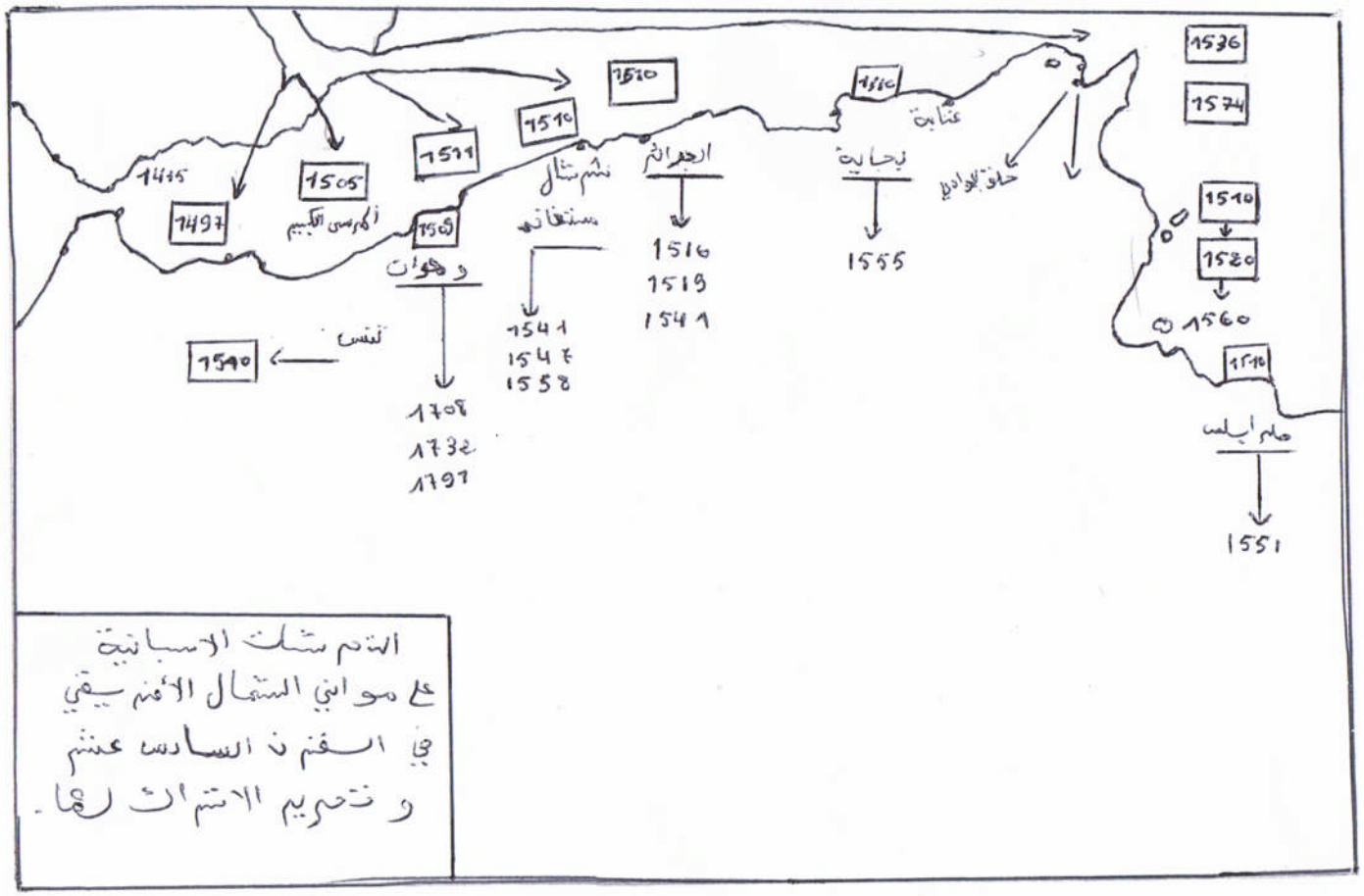

1- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص27.

الملحق رقم: (03)[1]

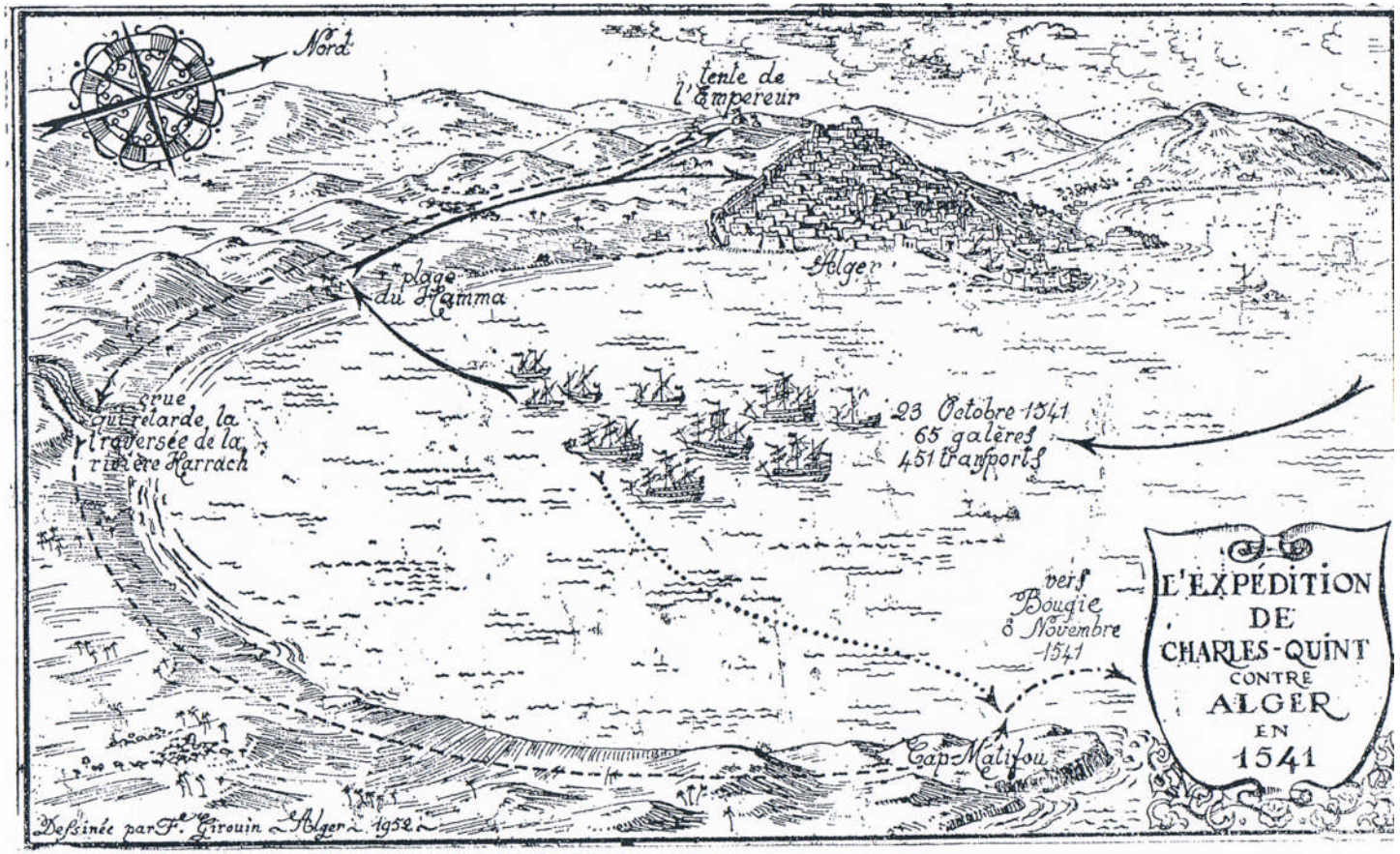

الحرب البحرية ضد الجزائر (١٥٤١)

[1]- عبد الحميد بن اشنهو، دخول الأتراك العثمانيين الجزائر، المرجع السابق، ص194.

الملحق رقم (4)

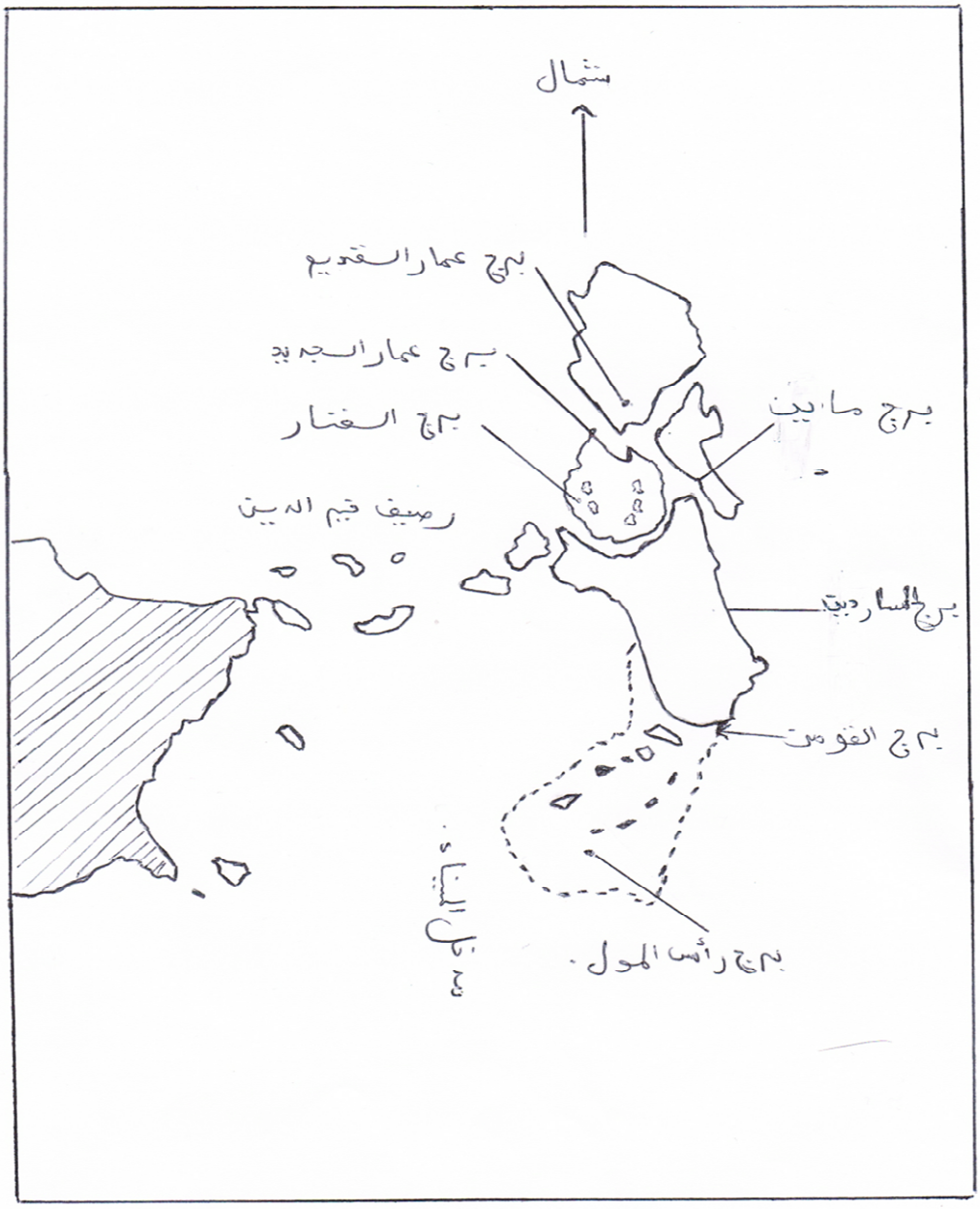

مجموعة الجزر الصخرية التي كانت أمام مدينة الجزائر قبل انشاء ميناءها الحديث من طرف خير الدين[1]

[1]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ص: 30.

قائمة

البيبليوغرافيا

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

- **قائمة المصادر:**

1) بن أبي ضياف أحمد ، أتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس، 1963.

2) **بن سحنون الراشدي أحمد** ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي بوعبدلي، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973.

3) **بن ميمون محمد الجزائري**، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، د.ت.

4) **ج أو هابنسترايت**، رحلة الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1732م، ترجمة نصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، 2008.

5) **الزهار الحاج أحمد شريف** ، مذكرات أحمد شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 1980.

6) الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق الشيخ المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.

7) كربخال مرمول، إفريقيا، ترجمة محمد حاجي وآخرون، الجزء الثالث، دار النشر والمعرفة، الرباط، 1989.

-إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، الجزء الثاني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984.

8) **المزاري أغا بن عودة** ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، ترجمة يحي بوعزيز،الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، لبنان، الطبعة الأولى، 1990.

9) **مسلّم بن عبد القادر**، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق و تقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. د.م، 1974.

10) **المشرفي عبد القادر**، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران كبني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، المكتبة الحياة، لبنان، د.ت.

11) المقري أحمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب في أخبار وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان حقي، الجزء الرابع، دار صادر، بيروت، 1968.

12) **مؤلف مجهول**، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تح عبد الله حمادي، دار القصبة، الجزائر، 2009.

13) **مؤلف مجهول**، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2010.

14) مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزول الأندلس إلى المغرب، تعريب فريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2006.

15) الناصري أبو راس، عجائب الأسفار ولطائف لأخبار، تحقيق محمد غالم، الجزء الثاني، منشورات AGP، 2008.

– عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق بوركبة محمد، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للشؤون الدينية، تلمسان، 2011.

16) الوزان حسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983.

- **قائمة المراجع**

17) إبراهيم خليل ، تاريخ المدن وحضارته، دار الغرب الإسلامي، ليبيا، الطبعة الأولى، 2004.

18) آلتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة علي محمود عامر، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1989.

19) **أوزوتونا يلماز**، موسوعة الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، (629-1341هـ/1231- 1922م)، ترجمة عدنان محمد سلمان، ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، 2010.

20) **براهامي نصر الدين**، تلمسان الذاكرة، منشورات التالة، الجزائر، 2007.

21) **بشارو عصام محمد**، الأندلس الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002.

22) **بن اشنهو عبد الحميد بن أبي زيان**، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972.

23) **بن خروف عمار** ، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي، الجزء الأول، دار الأمل، الجزائر، 2006.

24) **بنو جنيت يوسف** ، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر ميلادي، ترجمة محفوظ قداش وسامية سعيد عمار، دار النشر دحلب، الجزائر، 2009.

25) **بوحوش عمار** ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1977.

26) **بوشاقور أحمد** ، تاريخ مدينة الجزائر من العهد القديم إلى 1964، موفم للنشر، الجزائر، 2009.

27) **بوعزيز يحي**، العلاقات الخارجية مع دول المماليك أوروبا 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980.

- تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر، 2007.

- مدينة وهران عبر التاريخ، ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009.

- موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، الجزء الأول، دار الهدى، الجزائر، 2009.

- وهران، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.
- الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية،2007.
- الموجز في تاريخ، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 2009.
- مدينة وهران عبر تاريخ، ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

28) **بوعياد محمود،** جوانب من حياة المغرب الأوسط في القرن التاسع هجري (15م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.

29) **تسن فرغلي علي** ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2002.

30) تواتي بومهلة تواتي، بجاية حاضرة البحر ونادرة الدهر، دار المعرفة، الجزائر، 2010.

31) **جفري برون،** تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة علي المرزوقي، الأهلية، لبنان، الطبعة الأولى، 2006.

32) جلال يحي، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، الجزء الرابع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ت.

33) **جون ب. وولف،** الجزائر وأوروبا 1500-1830، ترجمة أبو القاسم سعد الله، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

34) الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، دار الأمة، الجزائر، 2002.
- تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، دار الأمة، الجزائر، 2010.

35) حساني مختار، تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني، خلال القرن 18 من خلال المخطوطين: الجزء الأول فتح مدينة وهران للجامعي، الجزء الثاني الرحلة القمرية لابن زرقا، مخبر المخطوطات، الجزائر، 2003.

36) حسن عيسى، أعظم الشخصيات التاريخية، دينية، أدبية، سياسية، علمية فلسفية، مراجعة عبد الله المغيلي، الأهلية للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2010 .

37) حمادي عبد الله ، المرسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، 1492-1616، دار اللمعية للنشر والتوزيع، د.ب، الطبعة الأولى، 2011.

38) خلاصي علي ، القلاع والحصون في الجزائر المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

39) دحماني سعيد، عنابة فن وثقافة، وزارة الإعلام، الجزائر، د.ت.

– من هيبون- بونة — عنابة تاريخ تأسيس القطب الحضاري، منشورات مؤسسات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر.

40) الذنون عبد الحميد ، آفاق غرناطة، دار المعرفة، دمشق، الطبعة الأولى، 1988.

41) رابح الونيسي وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزء الأول، دار المعرفة، الجزائر، 2010.

42) الزيدي مفيد ، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (476هـ/1500م)، الجزء الأول، دار أسامة، عمان، الطبعة الثالثة، 2009.

43) سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2007.

44) سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، الجزء الأول، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998.

45) سعدي عثمان ، الجزائر في التاريخ ، دار الأمة، الجزائر، 2013.

46) سعيدوني نصر الدين ، دراسات أندلسية ومظاهر التأثير الإبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى، 2003.

47) سليماني أبو عبد الله الأعرج ، تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبد القادر، تحقيق حساني مختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، د .ت.

48) **سليماني أحمد**، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة، الجزائر، د.ت.

49) **سي يوسف محمد** ، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار الأمل، الجزائر، 2009.

50) **شارل أندري جوليان**، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى 1830، تعريب محمد مزالي والبشير ابن سلامة، الجزء الثاني، دار التونسية، تونس، 1998.

51) **شوفالييه كورين**، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

52) **شوقي عطا الله الجمل**، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، الجزء الأول، مكتبة إنجلو المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1971.

53) **عباد صالح**، الجزائر خلال الحكم التركي 1519-1830، دار الهومة، الجزائر، 2007.

54) **عبد العزيز السيد وأحمد مختار العبادي**، تاريخ البحرية في المغرب والأندلس، دار النهضة، لبنان، 1969.

55) **العسلي بسام** ، الجزائر والحملات الصلبية (1547-1771م)، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، 1986.

-خير الدين بربروس والجهاد في البحر، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، 1980.

56) **عكاك عثمان** ، الموجز التاريخ العام الجزائر (من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الأولى، د.ت.

57) **علي حليمي عبد القادر** ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، الطبعة الأولى، 1972.

58) **عمورة عمار** ، الموجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2002.

59) **-**جزائر بوابة التاريخ الجزائر خاصة ما قبل التاريخ إلى غاية 1962، الجزء الثاني، دار المعرفة، الجزائر، د.ت.

60) **غلاب عبد الكريم**، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.

61) **فركوس صالح** ، تاريخ الجزائر من قبل ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار هومة، عنابة، 2005.

62) **فكاير عبد القادر** ، الغزو الإسباني لسواحل الجزائرية وآثاره 910- 1206هـ/ 1505-1792م، دار هومة، الجزائر، 2012.

63) **الفيلالي عبد العزيز** ، تلمسان في العهد العثماني، الجزء الأول، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

64) **قنان جمال** ، نصوص ووثائق تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2010.

65) **الكتاني علي المنتصر**، أبحاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، 2005.

66) **لحسن عيسى** ، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر، الأردن، الطبعة الثانية، 2011.

67) **ماريا روز مينوكال**، الأندلس العربية ،"إسلام الحضارة وثقافة التسامح"، ترجمة عبد المجيد جحفة ومصطفى جباري، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى، 2006.

68) **متولي أحمد فؤاد** ، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها من نهاية العصر الذهبي، إيتراك، القاهرة، 2005.

69) **المدني أحمد توفيق** ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

70) **–**حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007.

71) **المطوي محمد لعروسي**، الحروب الصليبية في الشرق والغرب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1989.

72) **مغيل أنخيل بونيس يبارا**، المورسكيون في الفكر التاريخي، ترجمة وسام محمد جزر، القاهرة، الطبعة الأولى، د.ت.

73) **مقيبس بشير** ، وهران دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983.

74) **مؤنس حسين** ، تاريخ المغرب وحضارته(من ما قبل الفتح الاسلامي إلى الغزو الفرنسي)، الجزء الأول والثاني، العصر الحديث، الطبعة الأولى، لبنان، 1998.

75) **الميلي مبارك**، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الجزء الثالث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ت.

76) **نوار عبد العزيز سليمان** ، **محمود جمال الدين**، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي للنشر، القاهر1999.

77) **نور الدين عبد القادر** ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

78) **هربرت فيشر**، أصول التاريخ الأوربي الحديث من نهضة أوربية إلى ثورة الفرنسية ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2001.

79) **هريدي صالح أحمد** ، تاريخ أوروبا الحديث، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2001.

80) **يحياوي جمال** ، سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين 1610/1492م، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، 2005.

- **قائمة المراجع باللغة الفرنسية:**

81) Charles Féraud, congé vête de bougéte par les espandes d'après un manuscrit arabe, R.A,**T** 12, 1868.

82) Ernest mercier, histoire de l'afrique sepetent rionale depuis les plus reculés, T3, Ernest leroux éditeur,Paris, 1868.

83) Haedo Fray Diego De, Histoire de rois d'alger traduite et annotée par h.d de grammont Adolph joudan, Paris, 1881.

- **الرسائل الجامعية والأطروحات**

84) **بلبوري سيد أحمد،** الاحتلال الإسباني الأول لوهران وانعكاساته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مذكرة الماجستير، ، جامعة وهران، 1985.

85) **بن صحراوي كمال** ، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة دكتورة ، جامعة وهران، 2013-2014.

86) **حسنة كمال،** العلاقات الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث 1789-1807م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006.

87) **حيمر صالح** ، التحالف الأوروبي 1541م وتأثيراته الاقليمية والدولية، رسالة ماجيستر، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2006- 2007.

88) **كليل صالح** ، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني للاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة 2006-2007.

89) **الميلق عبد القادر** ، تأثير ثورات الموركسيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الإسبانية 1492- 1609م، مذكرة ماجستير جامعة غرداية، الجزائر، 2012- 2013.

- **المجلات والدوريات:**

90) **بلحميسي مولاي** ، «نهاية دولة بني زيان»، الأصالة، المجلد05، العدد 26، المؤسسة الوطنية لشؤون الدينية، تلمسان، 2011.

91) **التميمي عبد الجليل** ،« الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني وقضية المورسكين»، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 10- 11، تونس 1987.

- «أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519م» المجلة التاريخية المغاربية، العدد6، تونس 1976.

92) **عبد الحميد بن أبي زيان بن اشنهو**، « الدور الذي لعبته الجزائر في القرن السادس عشر بالبحر المتوسط»، الأصالة، العدد 8. 9. 10، المؤسسة الوطنية لشؤون الدينية، تلمسان، 2011.

93) **العبيدي علي**، «الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر1541م أثرها على توازن القوى في الغرب المتوسط»، العصور، العدد 17، وهران، 2010.

94) **العربي اسماعيل** ، «بجاية»، الأصالة، المجلد7، العدد19-20 المؤسسة الوطنية لشؤون الدينية، تلمسان، 2011.

95) **العربي إسمهان**، «المدن الساحلية ودورها في الصراع البحري الإسلامي المسيحي (مدينة عنابة نموذجا)»، العصور، العدد21، منشورات مخبر البحث التاريخي، الجزائر، 2013.

96) **المدني أحمد توفيق** ، «تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين 1530- 1554» الأصالة، المجلد 11، العدد 26، المؤسسة الوطنية للشؤون الدينية، تلمسان، 2011.

97) **ميكال دي ايباترا**، «العلاقات التاريخية بين عنابة وإسبانيا»، الأصالة، العدد 34-35، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1976.

98) **الهلالي حنفي**، «عملاء وجواسيس الإسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر»، مجلة فكرية محكمة، العدد7، 2005.

99) **ياسين حكمت** ، «الغزو الإسباني في القرن السادس عشر أسبابه ومراحله ونتائجه»، الأصالة، العدد 14-15، المؤسسة الوطنية للشؤون الدينية، تلمسان 2011.

فهرس

الموضوعات

شكر

اهداء

قائمة المختصرات

مقدمة..... أ

مدخل 6

الفصل الأول: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية

تمهيد: 15

المبحث الأول: دوافع الغزو الإسباني 16

1- الدوافع دينية..... 16

2- الدوافع الاستراتيجية والعسكرية 17

3- الدوافع الاقتصادية 19

المبحث الثاني: بداية الاحتلال الاسباني للسواحل..... 21

1- المناطق الغربية..... 21

2- المناطق الوسطى..... 28

3- المناطق الشرقية..... 32

المبحث الثالث: أوضاع الجزائر الداخلية بداية القرن 16 م..... 38

1- الأوضاع السياسية 38

2- الأوضاع الاقتصادية..... 40

3- الأوضاع الاجتماعية..... 42

الفصل الثاني: ظهور الإخوة بربروس ودورهم في الجزائر

تمهيد 45

المبحث الأول: فترة حكم عروج (1512-1518م)..... 48

1- جهود عروج في مواجهة الإسبان..... 48

2- بوادر ميلاد إيالة الجزائر 50

3- استنجاد أهل تلمسان واستشهاد عروج..... 52
المبحث الثاني: الحملات الإسبانية (1519-1541م)..... 55
1- حملة هوغو دو مونكاد 1519م..... 55
2- حملة أندري دوريا 1531م 57
3- حملة شارلكان 1541م..... 62
المبحث الثالث: جهود إيالة الجزائر في مواجهة الإسبان..... 64
1- تحرير البانيون 1529م وتشييد ميناء الجزائر 64
2- استرجاع تلمسان 1554م..... 66
3- تحرير بجاية من الاحتلال الاسباني 1555م..... 67
4- فشل الإسبان في مستغانم ومقتل ألكوديت 1558م..... 69

الفصل الثالث: نتائج الصراع الجزائري الإسباني

تمهيد 73
المبحث الأول: أسباب فشل المشروع الإسباني في الجزائر..... 73
1- العوامل الداخلية..... 74
2- الضغط الخارجي لإسبانيا..... 78
المبحث الثاني: الظروف السياسية في بداية القرن 18م 82
1- موقف قبائل المنطقة من الاحتلال الإسباني..... 82
2- تحرير وهران..... 90
خاتمة..... 97
الملاحق..... 101
قائمة البيبليوغرافيا..... 106